

روائع الأدب العالمي للناسخين

الآمال الكبرى

تشارلس ديكنز



المؤلف

ولد تشارلس ديكنز فى انجلترا عام ١٨١٢ ، وكان
ثانى ثمانية أبناء لأب يعمل كاتباً حكومياً ، وهى وظيفة
متواضعة . ونظراً للفقر الذى كانت تعانيه أسرته ،
فقد ألحق تشارلس بأحد المصانع فى لندن ليساعد فى
إعالة الأسرة ، وكان عمره آنذا لايتجاوز العاشرة .
وكانت هذه التجربة شديدة الأثر فى نفسه ، وتركت
انطباعات عميقة ظهر فى العديد من الروايات التى
كتبها تشارلس عن أبطال صغار عانوا الكثير من
الوحدة والعذاب .

وبسبب ميراث ضئيل هبط على الأسرة بطريقة غير متوقعة ، سمح لتشارلس أن يعود الى المدرسة وأن يترك العمل فى عبودية المصانع .

كذلك فقد استطاع تشارلس أن يعمل مراسلا لحدى الجرائد ، وهو عمل أتاح له التأمل فى أحوال الناس ، وخرج منه بتجربة مكنته من تأليف العديد من القصص والمشاهد التى تركت - ومازالت تترك أثرا لا يمحو فى ذاكرة قرائه .

وكان تشارلس ديكنز فى الرابعة والعشرين من عمره ، عندما أصدر أولى رواياته « مذكرات بيكويك » سنة ١٨٣٦/١٨٣٧ . وأصبح بذلك من أكثر الكتاب الانجليز شعبية وشهرة . وقد ازدادت هذه الشعبية واتسع نطاقها عندما صدرت رواياته الأخرى تباعا .. دافيد كوبرفيلد .. أوليفر تويست .. أغنية عيد الميلاد .. قصة مدينتين .. الآمال الكبرى .

ومثل العديد من رواياته ، كانت رواة « الآمال الكبرى » تدور حول الأثر الشئ الذى قد

تركه النقود فى نفوس الناس . وقد ظهرت هذه الرواية أولا كحلقات سلسلة نشرت فى احدى المجلات الاسبوعية . . وفى هذه الحلقات كان بطل الرواية الرئيسى « بيب » يحكى قصة حياته منذ كان فى السابعة من عمره حتى أصبح شابا يافعا . . ويشرح التحولات العميقة التى طرأت فى حياته . . وحولته من انسان أنانى يملؤه الغرور ، الى انسان طيب يتعاطف مع الآخرين .

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته فى الكتابة والتأليف والقاء المحاضرات التى يتناول فيها موضوعات رواياته . . وفى الدعوة الى تدعيم « المؤسسات الخيرية » التى ترعى الفقراء من الناس . . وظل مثابرا على ذلك حتى وفاته فى عام ١٨٧٠ .



بيب يزور قبر والديه

الفصل الأول

مقابلة بين المقابر

عشت معظم السنوات الأولى من حياتى فى مقاطعة
« كنت » .. ومع ذلك فان مستنقعاتها الموحشة
ما زالت تخيفنى حتى الآن .. فقد كنت أتخيل وجود
أشباح تتلاعب فى أطباق الضباب الكثيف ، كما
أتخيل سماع أصوات غريبة صادرة من تدفق المياه
فى مجرى النهر المجاور .

وعندما كنت فى السابعة من عمري .. وفى
« عشية عيد الميلاد » .. ذهبت لزيارة قبر أبى وأمى



من فضلك يا سيدى .. لا تقتلنى

الذى يقع بساحة واسعة ملحقة بالكنيسة... وفى
مكان يطل على مستنقعات موحشة ..

فى الحقيقة لم أشاهد أبى ولا أمى مطلقا ..
ولكنى أستطيع قراءة اسميهما المكتوبين على شاهد
القبر : « فيليب .. وجورجيانا بيروب » ..
« فيليب » كان اسم أبى واسمى أنا أيضا .. ولكن
عندما كنت أتعلم النطق فى طفولتى المبكرة ، كنت
لا أستطيع نطق هذا الاسم نطقا صحيحا .. وإنما
كنت أنطقه هكذا : « بيب » .. وهو الاسم الذى ظل
يطلق على طوال حياتى .

وفى أثناء تلك الزيارة لقبر والدى ، حاولت أن
أتذكر أى شئ عنهما فلم أستطع .. لذلك فقد انهمرت
الدموع من عينى وبدأت فى البكاء .. وعلى حين فجأة
سمعت صوتا مخيفا مرعبا يصيح بى : اسكت ..
توقف عن هذا الضجيج والا قطعت رقبتك ! ..

وظهر أمامى رجل عملاق خرج من بين المقابر ،
وأمسكنى من ذقنى بقبضته الحديدية .. كان
برتدى ملابس خشنة رمادية اللون .. ويحيط بقدمه

طوق حديدي .. كانت، ملبسه مبتلة ويرتعش جسمه
الملطخ بالطين من شدة البرد .. وأخذ يحملق في
بعينين يتطاير منهما الشرر .. فقلت له وأنا ارتجف
من شدة الرعب : أتوسل اليك ياسيدي .. لا تقتلني
.. أرجوك .. !

وسالني الرجل : ما اسمك ؟ .. اجب بسرعة
.. وأين تعيش .. ومن هم أهلك .. ؟ !

فقلت على الفور : اسمي « بيب » .. ووالدای
مدفونان في هذه القبور .. وأنا أعيش مع أختي
« مسز جو جارجرى » وزوجها الحداد الذى يعمل في
هذه القرية .

فقال الرجل وهو ينظر الى القيد الحديدي
المربوط بقدمه : هه .. حداد ؟ !

وفى لمح البصر ، أمسكنى بقوة ، وقلبنى رأسا
على عقب ، وأفرغ كل ما فى جيوبى .. ولم يكن معى
سوى بعض المسامير وكسرة صغيرة من الخبز ..
ثم أجلسنى على شاهد حجرى لأحد المقابر .. وأخذ

يلتهم كسرة الخبز ويبتلعها فى نهم شديد .. وبعد
أن انتهى من ذلك ، هزنى بقوة وقال : والآن أيها الوغد
الصغير .. هل تعرف « المبرد » الحديدى .. ؟

فأومأت اليه برأسى موافقا ، لأنى كنت عاجزا
عن الكلام من شدة الرعب .. وقال : اذن عليك
باحضار مبرد حديدى .. واحضار بعض الطعام ..
عليك باحضارهما الى هنا فى صباح الغد .. فاهم !؟

وأخذت أبلع ريقى بصعوبة .. وقلت له
وانا الهث : حاضر يا سيدى .. !!

- واياك أن تخبر أحدا بذلك .. والا لقتلناك
فورا .. فانا أعرف صديقا لى يهوى قتل الأولاد
وتمزيق قلوبهم .. فقد تظن أنك ستكون آمنا وتنام
فى سريرك مطمئنا .. ولكن صديقى هذا قادر على
التسلل الى غرفة نومك الدافئة ليقتلك فى لحظة ..
تذكر هذا جيدا .. هيا .. انصرف الآن !

وأومأت برأسى اليه موافقا على كل ما قاله ..
وقفزت على الفور وأنا لا أصدق نجأتى .. وأخذت



بيب يتلقى الأوامر

أجری بأقصى سرعة فى اتجاه البيت .. وكان قلبى
يدق عاليا لدرجة انى كنت أسمع دقاته ..

ولكن فى البيت كانت تنتظرنى متاعب أخرى
فبينما كنت أتسلل على أطراف قدمى متجها الى المطبخ،
شاهدنى زوج أختى الحداد « جو » فhez رأسه الأشقر
وسألنى : أين كنت يا « بيب » .. أن اختك قد خرجت
للمبحث عنك .. !

وفى هذه اللحظة ، انفتح الباب بعنف ودخلت
أختى وهى فى قمة الغضب .. كانت أختى « مسز جو »
تكبرنى بنحو عشرين سنة ، وكانت حادة الطباع
جدا .. وبدون أن تنطق كلمة واحدة ، انقضت على
وضربتنى على رأسى ، وقذفت بى نحو زوجها .. ولكن
« جو » العملاق وقف حائلا بينى وبينها .. وجاولت
هى أن تراوغ زوجها العملاق لكى تمسكنى ، ولكنى
تسترت خلفه ، وظللت أراوغها بمساعدة « جو » ..
الى أن تعبت وكفت عز ملاحقتى ..

وبعد أن انتهى هذا الخطر الداهم .. ابتسم



جو ڀڃاڻ ۽ ڀڃ

« جو » وصحبني الى مكان دافئ قرب المدفأة .
ومن هناك كنت أسمع قرقرة الأواني والأطباق التي
تفسلها أختي في المطبخ .. ثم سمعت صوت
« طلقة نارية » يأتي من بعيد .. فقلت هاسسا :
ما هذا الصوت يا « جو » ؟

فقال « جو » وهو يشرح لي الأمر : هذه طلقة
تحذير .. تطلقها سفن السجن وهي تعبر النهر ..
للتحذير من سجين هارب .. وهذه هي الطلقة الثانية
للدلالة على أن سجيننا آخر قد هرب .. أما الطلقة
الأولى فكانت في الليلة الماضية لتحذيرنا من أن لصا
أو قاتلا قد استطاع الفرار .

كنت أرتعد وأنا أسمع ما قاله « جو » ..
ودقت أختي على المائدة بنفاد صبر وهي تدعونا الى
تناول العشاء .. وأخذت تضع الزبد على الخبز
وناولت كل واحد منا نصيبه .. وبالرغم من أن « جو »
هو الذي يمدنا بالخبز والزبد ، إلا أن طبيعته الطيبة
كانت تجعله يتقبل مثل هذه المعاملة من أختي التي
كانت تعامله - مثل - معاملة الأطفال ..



بيب يغني الخبز للمسكين

وبينما اتهمت أختى فى الحديث عن استعداداتها
لحفل « عيد الميلاد » فى اليوم التالى ، وضعت نصيبى
من الخبر بجيبى .. وقلت فى نفسى : اذا لم أجد
شيئا آخر فى المطبخ ، فلا أقل من احتفظ بهذا الخبز
للسجين الهارب الذى ينتظرنى ..

وكانت أختى لا تسمح لى بأن أضى شمعاً وأنا
فى طريقى إلى الصعود الى غرفتى العلوية .. لذلك
فقد ازددت خوفاً فى تلك الليلة وأنا أصعد درجات
السلم .. وخيل لى أنى أنا أيضاً سأكون سبباً لأن
تطلق سفينة السجن طلاقاتها بعدما ارتكب سرقة بعض
الطعام من المطبخ أو من غرفة الخزين .

وعندما رقدت على سريرى .. أخذت أتخيل
ان سجيناً صغيراً يقبع بجوار السرير متربصاً بى
ومستعداً لتمزيق قلبى .. ولهذا فقد احتفظت فى
يدى بقطعة الخبز التى خبأتها لكى أريها له فلا يقتلنى
.. وظلمت على تلك الحال طول الليل .. ولكن
السجين لم يظهر رغم توقعى لظهوره فى أية لحظة ..
ولم أستطع النوم أو يغمض لى جفن ..



الحصول على المزيد من الطعام

وفى الفجر عند ظهور أول خيط من ضوء
النهار ، تسللت هابطا درجات السلم ، وكان وقع
خطواتى على الأرض يكاد يصيح ضللى : أمسك حرامى

وبمناسبة العيد ، فقد وجدت بالمطبخ وبغرفة
الخزين طعاما أكثر مما كنت أتوقع .. ولذلك فقد
أخذت مزيدا من الخبز ، وقطعة كبيرة من الجبن ،
وفطيرة كبيرة محشوة باللحم .. وبعض « البراندى »
الذى أفرغته فى زجاجة فارغة ، وأضفت قدرا من الماء
الى الزجاجة الأصلية حتى لا يحس أحد ما سرقة
منها .. وقد جرؤت على أخذ فطيرة اللحم لأنى رأيتها
موضوعة على الرف الخلفى ، فاعتقدت أن أختى لاتنوى
تقديمها إلينا فى وقت قريب ..

وكان بالمطبخ باب يؤدى الى ورشة الحدادة
الخاصة بزواج أختى ، فتسللت اليها ، واخترت
« مبردا » تقبلا من الأدوات التى يستعملها « جو » ..
وخبأت جميع هذه الأشياء داخل معطفى ، ثم أسرعت
أخذا طريقى الى المستنقعات التى تغطيها شجيرة
الصباح ..



السجين الهارب الثاني ..

الفصل الثانى

السجين الثانى

كانت لم تزل هناك مسافة طويلة حتى أصل
الى الحائط المهدم الذى أتوقع أن السجين الذى
ينتظرنى يختبئ خلفه .. ولكنى رأيته فجأة أمامى ..
رأيته من ظهره وهو جالس على حجر ، ويبدو نائما .
واقتربت منه على حذر ، ثم أربت على كتفه لأنبهه .
فهب واقفا على الفور واستدار الى .. ولكنه لم يكر
نفس الرجل .. كان رجلا آخر ..

كان يرتدى أيضا ملابس خشنة رمادية اللون ..
وفى قدمه قيد حديدى .. ولكن ملامحه كانت



السجين الجائع يأكل بشرارة

مختلفة .. التفت الى الرجل ، وهوى بيده ليضربني
على رأسي ، ولكنى تحاشيت الضربة بسهولة ، لأنها
كانت ضربة ضعيفة تدل على أن الرجل مريض ويعانى
من شدة البرد .. وفجأة أخذ يفر من أمامى ، واختفى
فى الضباب الكثيف .. وكنت على يقين بأن هذا
الرجل هو صديق الرجل الآخر .. وهو الذى يمزق
قلوب الأطفال ..

وعندما وصلت الى الحائط المهدم ، وجدت
نفس الرجل الذى شاهدته بالأمس .. كان « يتنطط »
على الأرض بنشاط حتى يدفىء جسمه . ودون أن
انطق بكلمة ، أخرجت المبرد والطعام من داخل معطفى ،
فاتسعت عيناه معبرا عن سروره ، ومد يده المرتجفة
وبدأ يلتهم الطعام بنهم .. وعندما أخرجت الزجاجة
وقدمتها اليه سال مستفسرا : ماذا احضرت لى فى هذه
الزجاجة يا ولد .. ؟

فاجبت : هذا بعض « البراندى » يا سيدى ..
لعله يساعدك على التغلب على برودة المستنقعات .



لقد رأيته هناك

فخطف الزجاجة من يدي فوراً ، وشرب أكثر
كمية ممكنة ، ثم مسح فيه بظهر يده وقال : فكرة
جيدة تدل على ذكائك .. هاه .. هل أخبرت أحداً ؟

**فاجبت : لا ياسيدي .. لم أخبر أحدا .. لقد
سرقت لك هذا الطعام ..**

فأوما برأسه راضياً .. وأخذ يقضم قطعة كبيرة
من فطيرة اللحم حتى كاد أن يقضى على الفطيرة
بأكملها .. فقلت له : انى سرور ياسيدي لأن الفطيرة
أعجبتك .. ولكن .. ألن تحتفظ لصديقك ببعض
منها .. ؟

**فقال بخبث ودهاء : تقصد صديقى الذى يمزق
قلوب الأطفال .. ؟**

**وأخذ يضحك وهو يقول : لا .. انه ليس فى
حاجة الى الطعام ..**

**فقلت على الفور : لا اعتقد ذلك ياسيدي .. فهو يبدو
جائعاً وفى حاجة ماسة الى الطعام ..**



واخذ يبرد القيد الحديدى

عندئذ هب الرجل واقفا ، وأمسكني بكلتا يديه
من ياقة معطى وسألنى بلهفة : تقول انه « يبدو » !
.. هل رأيته .. أين .. ومتى .. ؟

فاجبت بسرعة وأنا أشير الى الاتجاه الذى اختفى
فيه الرجل الثانى : انه هناك ياسيدى .. ! يرتدى
مثل ملابسك .. وفى قدمه قيد حديدى .. لقد أطلقت
سفينة السجن طلبة بالامس لتحذر الناس منه ..
الم تسع هذه الطلبة .. ؟

- ربما سمعتها .. وربما لم أسمعها .. ان
البقاء وحيدا فى مثل هذه المستنقعات ، شئ يدير
الرأس .. ما شكل ملامحه ؟ .. صفه لى .. !

واستعدت على الفور منظر السجين الثانى ..
بلامع وجهه المعبرة عن الخوف والفرع ، وقلت :
رأيت كدمة على خده .. !

وعندئذ شعر بشئ من الارتياح وقال لى : انه
هو بالفعل .. سوف اصطاده كما تصاد الكلاب ..
ولكن أين المبرد .. اعطنى المبرد يا ولد ..

وكان المبرد قد سقط على الأرض حين كان الرجل
يتناول لفة الطعام .. فالتقطته وقدمته اليه .. وفي
لمح البصر ، انحنى الرجل وركع على العشب المبتل ،
وبدا يبرد القيد الحديدى الملتف حول قدمه .. يبرد
بهمة وجنون ..

ورأيت أن أنصرف .. فتراجعت بظهرى الى
الخلف عدة خطوات وأنا أنظر اليه .. ولكنه لم يهتم
بى اطلاقاً لشدة انهماكه فى برادة القيد الحديدى ..
وعندئذ استدرت وبدأت أجرى تجاه البيت .. وبالرغم
من انى ابتعدت كثيراً عن مكان الرجل .. الا انى
مازلت أسمعه .. يبرد .. ويبرد .. ويبرد .. !

وفى البيت ، كانت اختى منهمكة فى أعماله
المنزلية .. تروح وتغدو كالدوامة هنا وهناك ..
تعلق الستائر النظيفة البيضاء .. وترفع الأغشية عن
الأثاث بغرفة الجلوس .. وكانت هذه الغرفه
لا تستعمل الا فى المناسبات الخاصة ، وبالطبع فان
الاحتفال « بعيد الميلاد » كان أهم هذه المناسبات ..
وتناولت أنا و « جو » ، طعام الافطار ونح

واقفين ، لأن أختي لم تجد وقتا كافيا لتقديم الافطار
على المائدة .. كانت منهمكة بالفعل فى اعداد الطعام
للضيوف المتوقع حضورهم فى أية لحظة ..

وفجأة ، أحسست وكان قلبى قد توقف عن
النبض .. هل كانت فطيرة اللحم معدة اذن للاحتفال
بالعيد ؟ .. لقد شعرت بالفزع من تلك الفكرة المخيفة
ونتائجها .. وظل هذا الاحساس يلازمنى حتى حين
استدعتنى أختي وأخذت تغسل لى وجهى ورأسى ،
ثم البستنى أنظف ما لدى من ملابس ..

وكذلك ارتدى « جو » أنظف ملابسه .. وجلسنا
معا فى حجرة الجلوس .. فى انتظار الضيوف .. وعند
أول طرقة على الباب الخارجى للبيت ، قمت وفتحت
الباب لأول هؤلاء الضيوف .. « مستر ووبسل »
كاتب الكنيسة .. ثم حضر بعده صانع العجلات
وزوجته « مستر ومسز هابل » ..

وأخيرا وصل عمى « مستر بامبلشوك » بعربته
الصغيرة .. الحقيقة أن هذا الرجل هو عم « جو » ..



احتفال غير مریح بعيد ایلاد

ولكن أختى اعتبرته عما لها أيضا ، لأنه كان تاجر
الحبوب بالمدينة ويتمتع ببعض الثراء .. واستقبلته
أختى بحفوة بالغة .. وقاء الرجل بزهو وأفتخار :
« مسز جو » .. لقد أحضرت لك هدية طيبة ..
نبينا فاخرا من أحسن الأنواع ..

تمتع الجميع بتناول الطعام فيما عداى .. فقد
كنت ممنوعا من الكلام بأمر من أختى .. رغم أن
معظم الحديث كان يدور عني .. وعن المناعب الكثيرة
التي أسببها لأختى المسكينة .. ولم تسمح أختى
لزوجها « جو » أن يدافع عني .. وطلبت منه أن
يوافق على كل أقوالها .. ويبدو أن « جو » كان يود
أن يعتذر لي بصمت .. ووضع لي كمية كبيرة من
الصلصة على قطعة اللحم الخاصة بي .

ثم بدأ يحدث ما كنت أخشاه وأتوقعه ..
عندما قالت أختى بفرح : يا عمى « بامبلشوك » ..
لقد أعددت لك مفاجأة تحبها .. فطيرة محشوة
باللحم .. !

وفي الحال ، صفق الجميع لهذا النأ السعيد



« لقد اختفت الفطيرة ! »

٠٠ وبدأ الضيوف يفتحون شهيتهم استعدادا لتلك
الفطيرة ٠٠ وسمعت كل حركات أختى وهى تبحث عن
الفطيرة فى كل مكان ، وتخيلت ما سوف يحدث ٠٠
حين عادت أختى خالية اليدين وهى تقول : يا الهى ٠٠
لا أعرف ماذا حدث ٠٠ لقد اختفت الفطيرة !
ولم أستطع الصمود أكثر من ذلك ، فقامت
واقفا ، واندفعت الى الباب لأهرب ٠٠ وما كدت أفزع
الباب حتى صدمت بمنظر لم أتوقعه ٠٠ رأيت
مجموعة من جنود الشرطة ، وكان قائدهم يمسك فى
يده بقيدتين حديدين ، رفعهما أمام وجهى وهو يقول .
يا فتى ٠٠ !!



جنود الشرطة يطلبون المساعدة

الفصل الثالث

القبض ٠٠ والاعتراف ٠٠!

تلعثمت ٠٠ وتعثرت خطواتي وأنا أتراجع الى
الخلف ٠٠ اذن ٠٠ لقد عرفوا أني لص ٠٠ وجئوا
للقبض على ٠٠ وأمسكني « جو » من ذراعي قبل أن
أهوى الى الأرض ٠٠

وعندئذ فقط ، ابتسم لي قائد الشرطة ، وقال
برقة وهو ينظر الى الجميع : معذرة سيداتي وسادتي
٠٠ أنا « جاويش » في خدمة الملك ٠٠ وقد كلفت



جو يقوم باصلاح القيود الحديدية

أنا ورجالي بالقبض على السجناء الهاربين .. ونحن
فى حاجة عاجلة الى خدمة من الحداد ..

فقلت اختى قبل أن ينطق « جو » بكلمة :

هذا هو الحداد .. ماذا تريدون منه فى يوم
الاحتفال بعيد الميلاد ؟ ..

- نريد اصلاح هذه القيود الحديدية لأن قفلها
لا يعمل .. ونحن فى حاجة شديدة اليها ..

أشارت اختى لزوجها لكى يبدى رأيه ..
فأمسك بتلك القيود الحديدية وفحصها وقال : لابد
من اشعال فرن الحدادة .. واصلاحها قد يستغرق
ساعة كاملة ..

فوافق قائد الشرطة وقال : لا بأس .. فسوف
نستطيع القبض على الهاربين قبل حلول لظلام ..
وعلىنا اذن اشعال الفرن ! ..

ودخل جميع رجال الشرطة الى البيت ، ووضعوا
أسلحتهم فى ركن من الحجرة .. وارتدى « جو » ،



مطاردة السجنين الهاربين ..

مريسته الجلدية استعدادا للعمل ، وذهب الى الورشة
وتبعه جميع الجنود - ما عدا قائدهم - لمساعدته
فى انهاء العمل بسرعة .

وقام العم « بامبلشوك » بدعوة الجاويش الى
الجلوس معنا حول المائدة . . . وصب له كأسا من النبيذ
الذى أحضره معه كهدية . . . وفى لحظات عاد الاحتفال
الى بهجته من جديد . . . بينما كانت تسمع من بعيد
دقات مطرقة « جو » وهو يدق بها على السندان .
وبعد أن انتهى « جو » من اصلاح القيود

الحديدية ، سمح لنا قائد الشرطة بأن نصحبه
لمشاهدة عملية القبض على السجناء الهاربين . . . ولم
يوافق على ذلك سوى « مستر ووبسل » و « جو » .
كما سمحت لى أختى بأن أخرج فى صحبتهما ، ولكن
بعد أن حدثت « جو » بصوت مسموع : اذا عدت
ورأس الولد مقطوعة ، فلا تنتظر منى أن أعيدها الى
مكانها الصحيح . . . !



القبض على السجينين !

وذهبنا جميعا الى ساحة المقابر خلف الكنيسة
.. نفس المكان الذى قابلت فيه السجين الاول ..
وبينما كان الجنود يبحثون ويفتشون المكان .. بدأت
أشعر بالخوف .. فربما ظن السجين الهارب أنى
خدعته .. وانى أبلغت عنه رجال الشرطة .. وحضرت
معهم لأرشدتهم الى هذا المكان .. ولكن عندما لم يعثر
الجنود على أحد ، تحركنا من جديد فى اتجاه آخر ..
وبدا يسقط علينا مطر شبه متجمد .. ولكن
على حين فجأة سمعنا صرخة عالية تأتي من بعيد ..
فأشار الجاويش لرجاله بالتقدم نحو المكان الذى
صدرت منه هذه الصرخة .. وأخذ الجميع يجرون
بخطوات سريعة واسعة فلم أستطع اللحاق بهم ،
فجملنى « جو » على كتفه وأخذ يجرى مع الرجال الى
أن اقتربنا من حفرة واسعة يتناثر منها الماء والطين
وسمعنا الجاويش يصرخ بقوة : سلما نفسيكما ! ..
أنت وهو .. !

ووقف الجنود حول الحفرة وهم يصوبون
بنادقهم نحو السجينين اللذين كانا منهماكين فى عراك



لقد سرقت بعض الطعام والبراندي

شديد ، ولم ينفذا الأمر الصادر اليهما بالتسليم ..
لذلك فقد نزل الجنود الى الحفرة ، وقبضوا على
السجينين وهما فى حالة رثة ويلهتان من شدة
التعب .. **وصاح السجين الاول غاضبا وهم يضعون**
يديه فى القيود الحديدية : تذكروا جيدا .. أنا الذى
قبضت عليه .. لقد قبضت عليه من أجلكم .. !

أما السجين الثانى فقد كان يعانى من شدة
ما ناله من الضرب ، ويكاد يهوى الى الأرض غير قادر
على الوقوف دون مساعدة ، وتلغثم وهو يقول مشيرا
الى **السجين الاول : لقد حاول أن يقتلنى .. !**

وقال السجين الاول على الفور : أنا لم أحاول
قتله ، والا لنجحت فى ذلك بسهولة .. لقد حرصت
على القبض عليه حيا لأسلمه لكم .. انظر يا سيدى
الجاويش .. ليس فى قدمى قيد حديدى .. وكان
يمكننى أن أذهب الى حال سبيلى .. ولكن عندما عرفت
أنه هرب .. طاردته حتى لحقت به .. ومنعته من
الهرب ..

وعندئذ صاح به الجاويش آمرا : كفى !!

وأشعلت بعض المشاعل كما أطلقت البنادق
كأشارة الى سفينة السجن لكى ترسل قارباً الى هذا
المكان .. وعلى ضوء المشاعل لمحنى السجن الأول ..
ونظرت اليه مواسياً ، وحركت يدي حركة خفيفة
وهزئت رأسي له كأشارة منى بأننى لست مسئولاً عن
احضار هؤلاء الشرطة للمقبض عليه .. وحملق فى
عينى لحظة ، كما لو كان يريد أن يتبين مدى
صدقى ..

ومشينا جميعاً تجاه شاطئ النهر ، حيث وصل
القارب لأخذ الجنود والسجينين الى السفينة .. وقبل
أن يضع السجن الأول قدمه فى هذا القارب ، التفت
الى الجاويش وقال بصوت عال سمعه الجميع : أريد
أن أقول شيئاً .. لقد سرقت بعض الطعام وبعض
البراندى من بيت حداد القرية .. لقد سرقت فطيرة
محشوة باللحم ..

فقال « جو » على الفور : آه .. هذا هو لسبب
فى أن زوجتى لم تعثر على الفطيرة .. ولكننا مع ذلك

لانبخل بطعامنا على شخص جائع .. أليس كذلك
يا « بيب » ؟ ١٩

فاومات برأسى موافقـا لأنى كنت عاجزا عن
الكلام .. وابتعد القارب بحمولته متوجها الى سفينة
السجن .. أما نحن فقد اتجهنا الى البيت ..



بيب يعمل مع جو في ورشة الحدادة

الفصل الرابع

دعوة من الأنسة هافيشام

كان « جو » أميا لا يعرف القراءة أو الكتابة ،
بينما حصلت أنا على قدر بسيط من التعليم .. ولكن
نظرا لأنهم كانوا يعدوننى لكى أصبح صبييا مساعدا
« لجو » فى أعمال الحدادة ، فقد اكتفوا بهذا القدر
من تعليمى ..

كنت لا أرغب فى شئ أكثر من أن أصبح حدادا
أساعد « جو » فى أعمال الورشة .. لقد كنت أحب



العم بامبشوك يقول اخباره

« جو » حبا جما وكان هو أيضا يبادلنى هذا الحب ويعطف على كثيرا .. وكان يدافع عنى باستمرار وبقدر ما يستطيع ضد الضربات القاسية التى كانت توجهها الى أختى ، ويحمينى من طباعها الحادة .. وكان تدخله هذا لا يعفيه من تلقى بعض الضربات نيابة عنى ، كما كانت أختى توبخنا نحن الاثنين معا ، وفى وقت واحد ..

وبعد انقضاء أيام قليلة بعد حفل « عيد الميلاد » حدث تغير كبير فى حياتى .. فقد جاء العم « بامبلشوك » فى أحد الأيام وقال ان الأنسة « هافيشام » تدعونى إليها لألعب فى بيتها .. وهى امرأة عجوز واسعة الثراء ، تعيش حياة كثيرة فى بيت كبير مهمل ..

ولم أكن قد رأيت هذه السيدة العجوز من قبل ، ولكنى سمعت عنها كثيرا .. وكنت أعرف انها تعيش وحيدة منعزلة ، وأن بيتها مغلق دائما بالمتاريس

خوفا من سطر المصرس ٠٠ والآن هماهى السيدة
الغريبة تدعونى لكى « اللعب » فى بيتها ٠٠

وقال « جو » مندهشا : ولكن ٠٠ كيف توصلت
هذه السيدة الى معرفة « بيب » ٠٠ ؟

فصاحت فيه أختى : يا ساذج ٠٠ من قال لك
انها تعرفه ٠٠ ؟

ثم ابتسمت الى العم « بامبلشوك » وقالت :
ان عمك يستأجر بعض أهلاكها ٠٠ وعندما كان يدفع
لها الايجار فى يوم ما ، سألته السيدة اذا كان يعرف
صبيا لتدعوه لكى يحضر ويلعب أمامها ٠٠ ولأن عمك
طيب القلب ، فقد اقترح عليها دعوة هذا الولد لحسن
حظه ٠٠ والآن ٠٠ ابعد عن طريقى كى أتولى تنظيفه
واعداده لتلبية هذه الدعوة ٠٠

وعلى الفور أمسكتنى أختى وأخذت تغسل جسمى
بالماء والصابون ، ثم جففتنى وألبستى ملابس داخلية
جديدة وأحسن مالى من ملابس الخروج ٠٠ وأثناء

ذلك لم تكف أختى ولا العم « بامبلشوك » عن تبادل
الأحلام بصوت عال .. وقالت أختى متمنية : أوه ..
ليتنى كنت ولدا صغيرا لتدعونى هذه السيدة الثرية
.. ربما ستعود هذه الدعرة بالنفع عليه .. بل
ستعود بالنفع علينا جميعا ..

وكان العم « بامبلشوك » يهز رأسه موافقا بوفار
وهو يقول : لاشك فى ذلك .. لاشك فى ذلك ..
لقد بدأ الحظ يتسم له منذ الآن ..

وما هى الا لحظات حتى وضعونى فى عربة
العم « بامبلشوك » التى ستأخذنى الى حيث ألعب ..
ولم أجسر على السؤال .. لماذا ألعب .. وما هو نوع
هذا اللعب .. ثم وقفت العربة أمام بيت كتيب درحش
مبنى بالطوب .. وله سور يحيط به من كل جانب .
وبوابة مغلقة بالمطاريس ، ونوافذ كثيرة مغلقة بحوائط
مبنية بالطوب وتحيط بها قضبان حديدية .. ودق
العم جرس الباب ، فانفتحت احدى النوافذ وجاء منها
صوت واضح : ما اسبك ؟



الوصول الى بوابة بيت الأنسة هافيشام

- اسمى « بامبلشوك » وجئت لأسلم الصبي

« بيب » ..

أغلقت النافذة على الفور .. وبعد لحظات قليلة
ظهرت فى الفناء الخارجى صبية صغيرة جميلة .
واتجهت الى البوابة وهى تمسك ببعض المفاتيح ..

كانت الفتاة فى مثل سننى تقريبا ، ولكنها كانت
تبدو أكبر من عمرها الحقيقى بسبب تكبرها الشديد
والطريقة المتفطرسة التى تحرك بها رأسها وكتفها ..
ودون أن تنظر الى ، قالت لى : ادخل يا « بيب » .. !

وشرعت على الفور فى غلق البوابة قبل أن يدخل
العم « بامبلشوك » فى صحبتى .. ونظرت اليه الفتاة
شدرا وهى تغلق البوابة فى وجهه وقالت له بكثير من
التعالى : هل كنت تريد مقابلة الأنسة « هافيشام » ؟ .. !

فقال العم وهو يشعر بكثير من الحرج : اذا
كانت الأنسة « هافيشام » تريد مقابلتى ..

فقالت الفتاة عندئذ : آه .. هى لا تريد

مقابلتك ..



ستلا تغلق البوابة ..

وبعد أن تركن العم وهو يعساى من جرح
كرامته .. عبرنا الفناء الداخلى ، ودخلنا الى البيت
من باب جانبي لأن الباب الرئيسى كان مغلقا
بالسلاسل .

كان الظلام حالكا بداخل البيت ، ولكن الفتاة
أشعلت شمعة كانت موضوعة على منضدة قرب
الباب .. ثم سحبتنى عبر ممرات كثيرة .. وصعدت
بى بيليا .. وكانت تقول لى بازدرء : هيا .. لا تتلكا
هكذا يا ولد .. !

ووقفنا أخيرا فى مواجهة باب مغلق ، وقالت
لى الفتاة : هيا .. أدخل !

فقلت لها بشئ من الخجل والأدب : بعدك
يا آنستى .. !

فقالت بحزم : لاتكن سخيفا هكذا يا ولد ..

فأنا لن أدخل الآن ..



اغرب سيلة شاهدتها في حياتي

وأخضت الشمعة وانصرفت عائدة ، وتركتني
فى هذا الموقف ، وسط الظلام الدمس . وشعرت
بكثير من الرهبة وأنا أطرق الباب . . . وسمعت صوتا
مبحوحا يدعونى للدخول . . . فدخلت . . .

وجدت نفسى فى حجرة واسعة مضاءة بالشموع
تبدو كما لو كانت حجرة الملابس لحدى السيدات . . .
فقد كانت هناك مرآة كبيرة ذات اطار مذهب موضوعة
فوق منضدة مغطاة بمفرش . . . وكانت هناك ملابس
نسائية كثيرة متناثرة هنا وهناك أو موضوعة فى بعض
صناديق الملابس . . .

وفى وسط هذا كله . . . رأيت أغرب سيدة
شاهدتها فى حياتى . . . كانت ترتدى ملابس العرس
البيضاء . . . ثوبا من الحرير الأبيض والدانتيل
البيضاء . . . وعلى رأسها طرحة طويلة بيضاء أيضا . . .
وفى قدمها فردة واحدة من خذاء أبيض ، أما الفردة
الثانية فكانت موضوعة على منضدة قريبة . . . وكانت



الآنسة هافيشام وقلبها الكسير

لبس فى يدها قفازات بيضاء ٠٠ وتمسك بمنديل
أبيض من القماش المخرم ٠٠ وعلى التسريحة كتاب
للصلوات له غلاف أبيض ٠٠

ورغم انى قد وصفت جميع هذه الأشياء
بالبياض ، الا أن لونها فى حقيقة الأمر يميل الى الصفرة
بفعل الزمن . كما أن الزمن قد ترك بصماته واضحة
على السيدة العجوز التى ترتدى هذه الثياب ٠٠ فمن
الوضوح أن ثوب العرس الذى كانت ترتديه ، كان معدا
من قبل لعروس شابة ، أما الآن فهو يبدو متهدلا فوق
جسم متهدل نحيف لا يعدو أن يكون جلدا على عظم ٠٠
هذه اذن ٠٠ الأنسة « هافيشام » ٠٠٠

قالت لى : من أنت ٠٠ ؟

فقلت : أنا « بيب » يا سيدتى ٠٠ أحضرنى
العم « بامبلشوك » لكى ألعب ٠٠

فامرتنى : اقترب منى ٠٠ هل تخاف من نسيده
لم تر الشمس منذ مولدك ٠٠

فهرزت راسى قائلا : لا ..

رغم أن الحقيقة كانت غير ذلك .. وعندئذ وضعت
يدها على الجانب الأيسر من صدرها ، وسألتنى : هل
تعرف ماذا يوجد هنا داخل صدرى .. ؟

فقلت على الفور : قلبك يا سيدتى .. فابتسمت
ابتسامة غريبة وقالت فى شيء لا يخلو من الاحساس
بالفخر : **قلب كبير .. !**

ثم أشارت الى لكى أنظر الى الساعة الموضوعة
فوق التسريحة ، والى ساعة أخرى معلقة على الحائط ..
وكانت عقارب كل من هاتين الساعتين متوقفة عند
الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ..

وقالت لى وهى تومئ برأسها ايماءة ذات معنى :
أنا تعبانة .. وأريد شيئا يسلينى .. وعندى ميل
شديد لأرى شخصا ما وهو يلعب .. هيا اللعب .. !

وقفت صامتا دون أن افعل شيئا .. لا أدري
ماذا أفعل .. ولا كيف ألعب .. واستدارت هى لكى

ترى صورتها المنعكسة على صفحة المرآة . وبعد فترة قصيرة التفتت الى وصاحت بعد أن نفذ صبرها : نادى على « ستلا » . . . انك على الأقل تستطيع أن تفعل ذلك اذا كنت لا تستطيع أن تلعب . . . قلت لك نادى على « ستلا » . . . !

خرجت من الحجرة الى الممر المظلم ، وناديت على « ستلا » . . . وفي الحال ظهر نور الشمعة التي تحملها « ستلا » قادمة نحوى . وما أن دخلت الفتاة الى الحجرة حتى قربتها الانسة « هافيشام » اليها . . . ثم اخرجت من أحد أدراج التسريحة قطعة مجوهرات علقتها بشعر « ستلا » الكستنائي . . . وقالت لها وهي تضحك ضحكتها الغريبة : فى يوم ما ستصبح هذه الجوهرة ملكا لك يا عزيزتى . . . ستكسبين بها اعجاب الرجال الذين ستعظمين قلوبهم . . . والآن . . . العبي الورق مع هذا الفتى . . . وسأفرج عليكما . . .

وقالت « ستلا » ساخطة : أعب مع هذا الفتى؟

. . . انه مجرد عامل صغير من أبناء العوام . . . !



جوهرة على شعر ستلا

فهمست لها الآنسة « هافيشام » : حتى ولو
كان كذلك .. يمكنك أن تحطى قلبه .. ألا
تستطيعين ذلك ؟!

وأطاعتها « ستلا » .. وجلسنا على الأرض
لنلعب الورق .. ولكنى لم استطع أن أركز ذهنى فى
اللعب بسبب الملاحظات الكثيرة. التى كانت تبديها
« ستلا » للآنسة « هافيشام » .. كانت تقول
باشمئزاز واضح : ان يديه خشتان .. وحذاءه
غليظ .. انه لا يعرف الاسم الصحيح لورقة «الولد»
فى « الكوتشينة » !

لقد تضايقت كثيرا من سوء معاملتى ، ومن كثرة
الملاحظات التى أبدتها « ستلا » على تصرفاتى ، وشدة
استهزائها بى .. وبطبيعة الحال فقد كسبت « ستلا »
الجولة ..

وكانت الآنسة « هافيشام » تجلس هاملة كالجثة
وهى تراقب اللعب .. وأخيرا انحنت نحوى وقالت لى :
ان « ستلا » قالت عنك أشياء كثيرة غير طيبة .. وانت
لم تقل عنها أى شئ .. ما رأيك فيها .. اخبرنى ! ..



ستلا تسخر من حذاء بيب

وازاء هذا الاصرار من الأنسة « هافيشام » ..
اضطرت أن أهمس في أذنها قائلاً : « ستلا » فتساء
جميلة فخورة بنفسها .. ولكنها كثيرة الشتائم ..
هل يمكننى أن أنصرف الآن ؟ !

ولكن الأنسة « هافيشام » لم تسمح بانصرافى
قبل أن اكمل جولة ثانية من اللعب ، ثم أمرتنى
بالانصراف على أن أعود إليها بعد ستة أيام .. وأمرت
« ستلا » بأن تقدم لى شيئاً من الطعام .. فقدمت الى
بعض الخبز وقطعة من اللحم .. بطريقة جعلتنى
أحس بأنها تقدم الطعام الى أحد الكلاب ..

ومن شدة ما عانيته من آلام الهوان والذل ..
طفرت الدموع من عيني وسالت على خدى .. وعندئذ
لمحت ابتسامة الاستمتاع ترسم على وجه « ستلا »
وهى تهز رأسها بازدراء واضح ..

وعندما عدت الى بيتى .. عاملتنى أختى معاملة
حسنة .. باعتبارى قد وصلت الى مكان ما فى هذا
العالم ، وتقدمت ولو خطوة واحدة الى الامام .. ولكنى
فى حقيقة الأمر كنت بائساً ..



کما لو کانت تطعم کلبا !

لم أكن أعرف من قبل انى من العوام الا بعد أن
اشارت « ستلا » الى ذلك .. ولم أكن أدري كم كان
حذائى غليظا .. وكم كانت يداى خشنتين .. وكم
كان جهلى لأنى لا أعرف الاسم الصحيح لورقة « الولد »
فى الكوتشينه ..

شعرت بالحجل والعار من كل ذلك .. وكان
اللقاء الذى تم مع « ستلا » الجميلة فى هذا اليوم ..
سببا فى تغيير حياتى كلها ..



غرفة الطعام بيت الأنسة هافيشام

الفصل الخامس :

أول قبلة فى حياتى !٠٠

وبعد ستة أيام ٠٠ عدت طائعا لمقابلة الأنسة
« هافيشام » ٠٠ ومرة أخرى قادتنى الفتاة المتغطسة
« ستلا » عبر الممر المظلم ٠٠

وكانت الأنسة « هافيشام » جالسة كالمعتاد
أمام تسريحتها ، واستقبلتنى هذه المرة قائلة :
انك لا تجيد اللعب يا فتى ٠٠ هل تحب أن تشتغل
اذن ٠٠ ١٩

فاومات برأسى موافقا ، وأشارت الى بان
انتظرها فى حجرة الطعام عبر الصالة ٠٠
وكانت حجرة الطعام مماثلة تماما لحجرة
الملابس ٠٠ نفس الستائر المسدلة التى تحجب ضوء



هذه كعكة عرسي !!

النهار .. ونفس الرائحة الخائقة للهواء المكتوم ..
وكانت عقارب الساعات الموجودة بتلك الحجرة متوقفة
ايضا عند الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ..

وكانت قطعة الاثاث الرئيسية الوحيدة بتلك
الغرفة ، عبارة عن مائدة كبيرة مستطيلة ، مغطاة
بمفرش قديم يعلوه التراب .. وتبدو كما لو كانت
معدة - منذ زمن مضى - لأحد الاحتفالات .. وفي
منتصف المائدة كان يوجد حامل فضى عليه صينية
فضية كبيرة فقدت بريقها ، وفوق الصينية كانت
توجد كومة صفراء اللون من شئ لم استطع أن
أبينه بسبب الأكوام المتراكمة من خيوط نسيج
العنكبوت التى تغطيه وتغشى الصينية والحامل وكل
شئ آخر على المائدة .

وكنت مأخوذا بمشاهدة العديد من الفئران
وهى تجرى هنا وهناك وفى كافة انحاء الحجرة لدرجة
أنى لم اتنبه الى وقع خطوات الأنسة « هافيشام »
وهى تعرج فى طريقها الى الحجرة ، محنية الجسم ،
مستندة على عصاة تساعدنا فى المشى ..

وأشارت الآنسة « هافيشام » بعصاها الى الكومة
الصفراء التى تغطيها خيوط العنكبوت وقالت : هذه
كعكة عرسى .. !

ثم استندت بيدها المرتعشة على كتفى ،
وأمرتني قائلة : والآن .. فان كل الشغل المطلوب
منك هو أن أستند على كتفك وتدور معى حول
الغرفة ..

وعلى الفور استندت على كتفى وشرعنا ندور
ببطء شديد حول الغرفة مرات ومرات .. وكان هذا
هو « الشغل » المطلوب منى ، بالإضافة الى جولة
« لعب » بورق الكوتشينه مع « ستلا » تحت مراقبة
الآنسة « هافيشام » .. وينتهى الأمر أخيرا بتغذيتى
مثل الكلاب ..

واستمر الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية شهور
وربما أكثر .. ولكن بمرور الوقت تقدمت قليلا في
اللعب .. ومع ذلك فقد ظلت « ستلا » تقسو على
بشدة ، وكانت دائما تجد أى نقص أو أية مناسبة
لتسخر منى ..

ولكن هذا النظام اختلف فى مرتين .. المرة الأولى حدثت حين كانت « ستلا » تقودنى لصعود السلم .. فقد شاهدت رجلا فى منتصف درجات السلم .. وتوقف الرجل عن النزول وأخذ يتفحصنى .. وسال « ستلا » : من هذا الفتى ؟

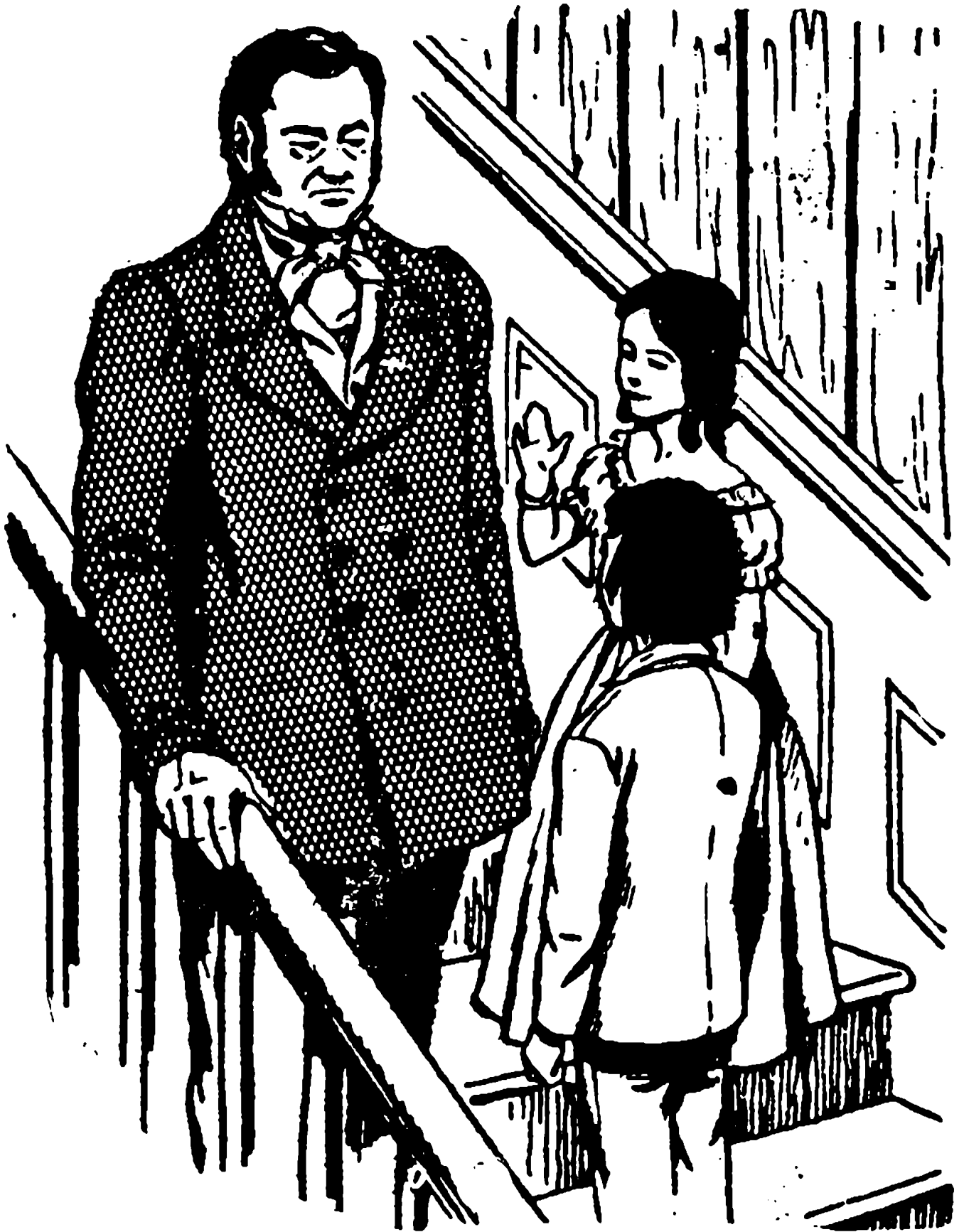
فاجبت « ستلا » بلا عناية ولا اهتمام : مجرد ولد .. !

كان الرجل ضخيم الجسم كبير الرأس ، وكان من الصعب على أن استريح لمنظره وهو ينظر الى بارتياب ، بعينيه الحادثين تحت حواجه الثقيلة السوداء .. وقال الرجل : هل هو من الجيران .. ؟

فاجبت على الفور : نعم يا سيدى .. أنا « بيب ، يا سيدى !

وتأملنى الرجل لحظة ، ثم ازاحنى من طريقه .. ولهذا فقد نسيت ونسيت مقابله ، لأنه حتى تلك اللحظة كان عديم الأهمية بالنسبة لى ..

أما المرة الثانية التى اختلف فيها هذا النظام ، فحدثت حين تركتنا الأنسة « هافيشام » - أنا



الرجل يسأل ستلا عن بيب

و « ستلا » - لكى نلعب الورق أكثر من الوقت المعتاد .. وفى هذه المرة تأنيت كثيرا وأنا ارتب أوراق اللعب فكسبت الجولة .. وأثنت على الأنسة « هافيشام » ..

ويبدو أن هذا الشناء قد أثر فى نفس « ستلا » .. لأنها عندما كانت توصلنى الى البوابة ، توقفت واستدارت نحوى وقالت : تعال .. يمكنك الآن أن تقبلنى .. اذا كنت راغبا فى ذلك !

وقدمت الى خدها .. فقبلته .. وحتى تلك اللحظة كنت على استعداد أن أضحي بأى شئ فى سبيل قبلة واحدة من « ستلا » .. ولكنها حتى وهى تمنحنى هذه القبلة ، كانت تتكلم بالطريقة المتفطرسية المتعالية التى كلمتنى بها الأنسة « هافيشام » حين أثنت على ..

كانت « ستلا » تقلد السيدة العجوز فى كل شئ .. حتى فى طريقة إعطائها « البقشيش » لفتى من العوام مثلى ، استطاع أن يفعل شيئا يستحق الشناء ..



يمكنك ان تقبلني اذا اردت

وفى يوم ما ، حين كانت الآنسة « هافيشام »
تضع يدها لتستند على كتفى لنقوم بالجولة المعتادة ،
قالت لى : يبدو أنك تزداد طولاً يا « بيب » .. ؛

ثم سألتنى عما اذا كان زوج أختى الحداد مازال
متمسكا بى لكى أصبح صبيه بصفة رسمية ..
فقلت لها : ان ذلك هو أعز أمنية لصديقى « جو » ..
وهنا قالت لى : اذن .. فقد حان الوقت لتصبح هذه
لأمنية حقيقة .. دعنى أرى الأوراق الرسمية ..

وعلى هذا فقد ذهبت الى مجلس المدينة فى صحبة
أختى و « جو » والعم « بامبلشوك » .. وهناك قاموا
بتسجيل اسمى رسمياً لأصبح صبياً « لجو » ..

وعندما قدمت الأوراق الرسمية للآنسة
« هافيشام » لتراها كما طلبت من قبل .. وافقت على
ذلك وأعطتنى مبلغاً عظيماً من النقود .. خمسة
وعشرين جنيها ذهبياً .. وقالت لى : لقد كنت ولداً
لطيفاً .. وهذه هى مكافأتك .. ولا تتوقع أكثر من
ذلك .. ولا تحضر الى هنا بعد الآن .. لقد أصبح
« جو » جاجرى ، سيدك واستاذك ..



مكافأة من الأنسة هافيشام

وعندما عدت الى البيت ، وشاهدوا المكافأة التي
حصلت عليها ، أصبحت أختى أكثر اقتناعا من أى
وقت مضى ، بأن الأنسة « هافيشام » مازال لديها
بعض الخطط الخاصة بمستقبلى .. فوفقها العم
« بامبلشوك » على هذه الفكرة ، وذكرنا جميعا بأنه
السبب المباشر فى تقديمى الى الأنسة « هافيشام »
ولولاه لما تمت هذه المعرفة .

أما « جو » فقد كان فى غاية السعادة لأنى
أصبحت صبيه ..

ورغم أن ذلك هو بالضبط ما كنت أسعى اليه
واتمناه فيما مضى .. الا انى أصبحت الآن غير راغب
فى الوقوف أمام فرن الحداة .. بل وغير راغب أيضا
فى أن أعيش حياتى كحدا ..

كانت معرفتى بالآنسة « هافيشام » و « ستلا »
.. قد غيرت مشاعرى تماما ..



بيب الحزين ..

الفصل السادس

الحزن والتجمل ..

ومرت الأيام وأنا أعمل كصبي حداد .. وفى كل يوم . كانت كراهيتى تزداد لهذه المهنة .. كان يخیل الى فى بعض الأوقات أن « ستلا » تطل على من فتحة فرن الحدادة .. وترى وجهى ويذى وقد علاهم الهباب الأسود .. وتضحك ملء فمها وهى تحتقرنى وتزدرينى وتسخر منى ..

فكرت مرة فى أن أهرب من هذه المهنة لأعمل فى البحر .. ولكنى خشيت أن أؤذى مشاعر « جو » بهذا الفعل المشين .. أو أحطم وهمه بأن مهنة الحدادة مهنة



ابنة عم الأنسة هافيشام

طيبة .. ولذلك فقد وطدت نفسى على اخفاء مشاعرى
عن « جو » .. كنت تعسا حزينا ولكنى كنت اشعره
بأنى فى غاية السعادة ..

وبعد مرور سنة .. أصبحت لا أطيق منع نفسى
من رؤية « ستلا » والآنسة « هافيشام » أكثر من
ذلك .. وما أن وافق « جو » على اجازتى ليوم واحد ،
حتى وجدت نفسى فى الطريق الى بيت الآنسة
« هافيشام » .. ومر وقت طويل وأنا واقف أمام
لبوابة .. استجمع قواى لأدق الجرس ..

وجاءت امرأة لترى من الطارق .. وقدمت لى
نفسها باعتبارها احدى بنات العمومة للآنسة
« هافيشام » .. وكنت على يقين أن هذه المرأة تريد
أن تطردنى ولا تسمح لى بالدخول ، لولا أنها لا تملك
مثل هذا الحق الا بعد أن تأخذ الأوامر من الآنسة
« هافيشام » ...

ولحسن الحظ فقد سمحت الآنسة « هافيشام »
بدخولى .. وكان كل شىء بالبيت كما هو مثلما تركته



بيب يتوقع اخبارا عن ستلا

آخر مرة .. وقالت لي فور استقبالي : هاه .. أرجو
ألا تطلب شيئاً لنفسك .. فلن أعطيك أى شيء
بالمرة ..

فاجبت : لا يا آنسة « هافيشام » .. فقد جئت
لأخبرك بأن عملي كصبي حداد يستير على نحو حسن ..
وأنا أشكرك لأنك ساعدتيني على ذلك ..

فقالت : اذا كان الأمر كذلك فهذا شيء طيب ..
وفى استطاعتك أن تحضر لزيارتى بين حين وآخر ..
ويمكنك أن تحضر فى عيد ميلادك القادم ..

وعندما لاحظت أنى انظر حولى باحثاً عن شيء
ما .. أدركت ما أفكر فيه .. وابتسمت ابتسامه
ماكرة **وهى تقول : أراك تبحث عن « ستلا » .. أليس
كذلك ؟**

فقلت على الفور : نعم يا سيدتى .. وأرجو أن
تكون بخير ..

فقالت ونفس الابتسامه على فمها : أنها بخير ..
لقد سافرت الى خارج البلاد .. وهى الآن تتعلم لكى

تصبح سيدة .. انها الآن أكثر جمالا من أى وقت
مضى .. وتحوز اعجاب كل من يشاهدها .. هل
تشعر بأنك فقدتها ؟!

وأطلقت ضحكة حقودة وهى تسألنى هذا
السؤال .. ولكنى لم أجبها بشئ .. وانتهت المقابلة
.. واسرعت بالخروج من الحجرة .. وهبطت درجات
السلم .. وخرجت من البيت .. وسرت فى الطريق
عائدا الى بيتى .. ومازالت ضحكتها الحقودة ترن فى
أذنى ..

كان ظلام الليل قد حل وأنا اقترب من البيت ..
وقد أدهشنى أنى رأيت جميع أنوار البست وورشة
الحداثة مضاءة .. وعندما اقتربت أكثر ، رأيت عديدا
من الناس يتجمعون فى الفناء الخارجى .. فبدأت
'جرى' .. وأفسح الناس لى الطريق عندما شاهدونى ..
وفى المطبخ رأيت مجموعة أخرى من الناس
متجمعين على شكل حلقة .. وكان « جو » يقف بينهم
ومعه طبيب القرية .. وعلى الفور أفسحوا لى مكانا
لأرى منه ما يتحلقون حوله ..

كانت أختى راقدة على أرض المطبخ .. بلا حراك
.. وغائبة عن الوعي .. وتنزف الدماء بغزارة من
جرح شديد برأسها ..

ورضع « جو » ذراعه حول كتفى وقال يشرح لى
الأمر : والآن يافتى .. يجب أن نتذرع بالشجاعة ..
لقد تسلل شخص شرير الى هذا المطبخ وضرب
« مسز جو » على رأسها ..
وقلت وأنا الهت : هل مازالت حية يا «جو» ؟

وعندئذ أجاب الطبيب : نعم حية .. ولكن من
المحتمل ألا تعود الى حالتها الطبيعية .. !

وقامت الشرطة بتحقيق الحادث .. وسألت كل
فرد فى المنطقة .. ولكن أحدا لم يشاهد الجريمة حين
وقعت .. وكل ما قيل أن شخصا ما قد تسلل الى
المطبخ .. وفاجأ أختى حين كانت تقف أمام الموقد ..
وضربها بشيء ثقيل على مؤخرة رأسها .. وعلى هذا
استمر التحقيق لأسابيع طويلة ، دون أن يعرف من
الجانى ..

وكنـت أعرف - أنا و « جو » - أن أختى قد اكتسبت عداوات كثيرة بسبب سلاطة لسانها وحدة طباعها .. فلم أكن أنا الشخص الوحيد فى هذه القرية الذى تلقى الضربات العنيفة من قبضتها القوية .. وكنا نعرف أنها كانت مكروهة تماما من العديد من الناس .. ولا بد أن واحدا منهم هو الذى ارتكب هذه الجريمة .. ولكننا لم نذكر عن هذا الموضوع شيئا ..

ظلت حية .. ولكنها فقدت ذاكرتها وأصبحت عاجزة تماما عن الكلام .. وبالتالى فقد تغيرت شخصيتها وعاداتها .. أصبحت هادئة صبورة .. ولا تطلب شيئا سوى أن تشير بيديها لكى نضعها جوار المدفأة .. تماما مثل قطعة عجوز ..

وفى البداية كان « جو » قلقا ومضطربا بسبب الحالة التى آلت إليها زوجته .. ولكنه بالتدريج ، بدأ يجس بالهدوء والمتعة .. خصوصا بعد أن جاءت « بيدي » لتعيش معنا .. لكى تخدمنا وتعتنى بنا ..



لقد أصبحت الحياة اكثر هدوءا

كانت « بيدى » فتاة يتيمة من فتيات القرية ،
تربطها علاقة قرابة بعيدة « بمستر ووبسل » ..
وكانت ذكية بشكل يثير الإعجاب .. وقد تقدمت فى
القراءة والكتابة بفضل توجيهاتها وارشاداتها .. أما
بالنسبة الى قدرتها على الطبخ فقد كانت طبخة ماهرة .
أكلنا - أنا و « جو » - من صنع يديها ألد الوجبات
التي لم نذق مثلها من قبل مطلقا ..

وكانت تعطف على أختى وتعاملها برقة . ووفرت
لنا جميعا كل اسباب الراحة والنظافة .. وأصبح فى
استطاعة « جو » - لأول مرة فى حياته - أن يذهب الى
حانة القرية ليتناول كأسا من البيرة ، ويتمتع بحديث
طيب مع الرجال الآخرين ..

وبدأت أثق فى « بيدى » لأنها كانت ودودة
عطوفة ولها آراء تتصف بالحكمة .. واليها وحدها
أفضيت بسرى .. سرى الذى لم أبح به لأحد قبلها ..
قلت لها : أريد أن أصبح « جنتلمان » يا « بيدى » ،
واترك مهنة الحدادة !



بیب یحییٰ احلامه الی بیبی

فرفعت عينيها عن القماش الذي كانت تخطه
وقالت : من أجل « ستلا » .. أليس كذلك ؟ .. لأنها
لا تريدك حلافا ..

وبمنتهى البؤس قلت : نعم ..
وشعرت بالحجل من نفسي .. ومن « ستلا » ..



مستر جاجرز يظهر بالورشة

الفصل السابع

الآمال الكبرى

انقضت نحو أربع سنوات منذ أن عملت صبيا
لجو ، ٠٠ عندما ظهر « مستر جاجزر » أمام باب
بيتنا ٠٠ لقد تعرفت عليه على الفور ٠٠ لقد كان نفس
الرجل الذى قابلناه - أنا و « ستلا » - على درجات
السلم ببيت الأنسة « هافيشام » منذ سنوات مضت .
نفس الرجل بعينه الحادة النظرات وحواجه الكثيفة
السوداء ٠٠

قال وكأنه يتمتع بنفوذ عظيم : أعتقد أن هذا هو
بيت الحداد « جوزيف جارجرى » وصبيه « بيب » ؟

فقال « جو » : هذا صحيح ياسيدى ٠٠

فقال الرجل بتؤدة وبكثير من الوقار : اسمى « جاجرز »
٠٠ وأنا أعمل محاميا فى لندن ٠٠ وقد جئت الى هنا
بناء على طلب أحد عملائى ٠٠



عرض لتحقيق الآمال الكبرى

تأثر « جو » بالطريقة الفخمة التي كان يتحدث بها الرجل ، فقاده الى حجرة الجلوس . . حيث سبقتهما الى هناك لكي أرفع الأغطية عن المنضدة والكراسي والأريكة . .

وسحب « مستر جاجرز » الكرسي الى جوار المنضدة ، ووجه الى « جو » نظرات صارمة ، وبدأ يقول: لقد جئت الى هنا لأعرض عليك أن تتخلى عن « بيب » كصبي لك وهذا من أجل مصلحته . . فكم تطلب لكي تعفيه من العمل معك . . ؟

فاجاب « جو » بلا تردد : لا أطلب أى شىء إطلاقا . . ولا يمكن أن أقف كعقبة فى طريق « بيب » مادام ذلك فى مصلحته .

وهنا التفت « مستر جاجرز » الى وقال : لدى تعليمات بأن أخبرك بأنك ستصل أخيرا الى عالم الثروة والمال . . ويريد الشخص الذى سيتمنحك الثروة أن تتأهل من الآن لكي تصبح قادرا على ادارتها . ولهذا فان هذا الشخص يريد منك أن تتعلم لكي تصبح



مستر جاجرز يقول شروطه

« جنتلمان » لديه آمال كبرى في مستقبل مزهر
بالثراء ..

وفاض بى احساس عظيم بالسعادة والفرح
فها هو حلمى يتحقق أخيرا .. وها هى الأنسة
« هافيشام » تحول خيالى العارم الى حقيقة واقعة ..
وواصل « مستر جاجرز » حديثه قائلا :

والآن يا « مستر بيب » .. هناك بعض الشروط لا بد
أن تعرفها .. أولا : فان هذا الشخص يريد منك أن
تتمسك دائما باسم « بيب » .. ثانيا : ان اسم هذا
الشخص المتبرع لك يجب أن يظل سرا الى أن يعلنه
هو بنفسه وقتما يريد .. واذا كنت قد خمنت اسم
هذا الشخص وعرفته ، فيجب ان تحتفظ بذلك لنفسك
وتلزم الصمت .. فهل هذا واضح ومفهوم .. ؟!

فاومات برأسى موافقا ..

— وهل قبلت هذه الشروط .. ؟!

فاومات برأسى مرة أخرى، وأكدت «لسترجاجرز»
أن هذه الشروط واضحة تماما ومفهومة وسألتزم بها
وأطيعها ..

وصيت « مستر جاجرز » فترة .. لعله كان يريد
أن يهيئنا لسماع كلماته الأخيرة بقدر من الاهتمام ..
ونمض قائلًا : أما بالنسبة للأجراءات والاستعدادات ..
فقد قلت لك ان أمامك آمالا كبرى في مستقبل مزدهر ،
أما الآن .. فقد خصص لك مبلغ كبير من المال ..
مبلغ يكفي وزيادة لمصاريف تعليمك ونفقات
معيشتك .. وسأحتفظ بهذا المبلغ ليكون تحت
تصرفك ، وللصرف منه عليك أولا بأول .. لذلك
فيجب ان تعتبرني وصيا عليك ..

وعندما حاولت أن أشكره ، أشار الى يديه :
كلا كلا .. شكرا لك .. فأنا قد حصلت على أجر
كبير نظير هذه الخدمات .. والآن .. أرجو أن تستمع
جيدا الى المقترحات التالية : عليك بالحضور الى لندن
فورا بعد أن تشتري بعض الملابس المناسبة .. وهناك
سوف تسكن مع « هربرت بوكيت » وهو « جنتلمان »
صغير في مثل سنك .. ولعلك تستطيع أن تتعلم منه
بعض العادات والتقاليد الحسنة .. كما أنى اقترحت
أن يكون أبوه معلما خاصا لك .. فما رأيك في كل
هذا .. ١٩

فقلت مندفعاً : كل ما تقوله يا « مستر جاجرز »
سابقه .. ولقد سمعت عن عائلة « بوكيت » من
قبل .. انهم ينتمون بصلة القربى الى الانسة
« هافيشام » ..

ولم تتأثر ملامح « مستر جاجرز » بأى شىء
عند سماع اسم الانسة « هافيشام » وبدأ وجهه
كما لو كان قد نحت من الحجر .. وقال : نعم ..
انهم يمتون بصلة القربى اليها .. والآن .. اليك
بعض النقود الخاصة بشراء الملابس ومصاريف
الرحلة ..

وقدم لى عشرين جنيها من الذهب .. وترك بطاقة
صغيرة تحمل اسمه وعنوانه فى لندن .. وودعنا ..
وخرج ..

وظللنا - أنا و « جو » - جالسين على الأريكة
صامتين مشدوهين كما لو كنا قد أصبحنا تمثالين من
الحجر .. الى أن جاءت « بيدى » .. فأفاق « جو »
من دهشته ، وأخذ يقص عليها حكاية الحظ السعيد
والثروة التى هبطت على من السماء .. ثم اندفع



جائرز يعطى النقود وبطاقة عنوانه

« جو ، بعد ذلك نحو المطبخ ليحاول افهام أختى هذه الحكاية .. »

وهنأتنى « بيدى ، بحرارة وصدق ، وقالت لى بهدوء : هاهو حلمك الاكبر قد تحقق .. فهل ياترى ستتحقق أحلامك الأخرى .. ؟ ! »

كنت أعلم أنها تشير بذلك الى حبنى «لستلا» .. ولكنى كنت أعلم فى نفس الوقت أن « بيدى » تعتبر « ستلا » فتاة مغرورة لاتستحق هذا الحب .. لذلك لم أجد شيئا أقوله سوى أن أومأت برأسى قائلا : من يدري .. ؟ !

أما أختى فقد أصبحت الآن غير قادرة على الفهم والادراك .. ورغم ما بذلناه من جهد فى الشرح ، الا أننا لم ننجح فى افهامها حقيقة ما حدث .. رغم أنها ابتسمت مسرورة بما لاحظته من زيادة الاهتمام بها على هذا النحو المفاجئ .

وفى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكرا وأسرعت بالذهاب الى دكان « مستر تراب » خياط القرية .. ولكن صبيه أخبرنى بأنه مازال يتناول



تحقق احد احلامك ما يبب !

طعام افطاره بشقته التى تقع خلف الدكان ..
واضطرت الى الانتظار فترة أوشك أن ينفد فيها
صبرى .. الى أن دعانى الخياط أخيرا لمقابلته فى
شقته .. كان لا يظن أن سبب مجيئى يستأهل التوقف
عن تناول افطاره .. ولذلك فقد وقفت أمامه دون أن
يهتم بدعوتى الى الجلوس أو مشاركته فى طعامه ..
وأخرجت من جيبى بعض الجنيئات الذهبية
وقلت له : « مستر تراب » .. لقد وصلتني بعض
النقود .. وأريد منك خدمة عاجلة ..

وفى لمح البصر ، توقف الخياط عن تناول
الطعام ، ومسح أصابعه وهب واقفا واتسعت عيناه
من شدة الدهشة .. وشرحت له الأمر : ان على أن
أتوجه الى لندن بصفة عاجلة .. وأريد منك أن
تصنع لى حلة على « المودة » الحديثة لأرتديها فى تلك
الرحلة ..

ودعانى الخياط فورا الى دكانه وبدأ يمارس
مله بهمة ونشاط .. وأمر صبيه بانزال مجموعة من
واب القماش المرصوة على الرفوف واحدا بعد



اختيار القماش لحلة جديدة

الآخر .. وأخذ يفرد لى هذه الأثواب ليفرجنى على الأقمشة حتى اختار من بينها ما يناسبنى .. ورغم أنه قد أثنى عليها جميعا ، إلا أنه ساعدنى فى اختيار النوع واللون المناسب لشاب مثلى .. ثم أخذ مقاييس جسمى وأكد لى أن تناسب هذه المقاييس سيساعد فى تفصيل حلة ممتازة .

ثم قام بعد ذلك بتوصيلى الى خارج الدكان ، وفتح لى الباب بنفسه وودعنى بحفاوة بالغة .. وكانت هذه هى تجربتى الأولى فى معرفة مدى التأثير العظيم للنقود فى نفوس الناس !

وما أن انتهى الخياط من صناعة الحلة ، حتى ارتديتها على الفور ، وأخذت طريقى الى بيت الأنسة « هافيشام » لأودعها .. ولكنها قالت لى انها عرفت حكاية الحظ السعيد والثروة التى جاءتنى عن طريق « مستر جاجرز » .. وتمنت لى النجاح والتوفيق .. ثم أشارت الى بعضاها لكى انصرف ..

كنت أريد أن اشكرها على كل ذلك .. ولكنى تذكرت الشروط التى أملاها على « مستر جاجرز »



بيب يودع الأنسة هافيشام

بعدم الكشف عن اسم المحسن الذى تبرع لى بكل
هذه الثروة حتى وان كنت أعرفه .. فلزمت الصمت
وأنا أسمع آخر الكلمات التى قالتها الأنسة
« هافيشام » : وداعا يا « بيب » .. وعليك أن
تحتفظ دائما باسم « بيب » .. كما تعرف ..

وكلما اقترب موعد رحيلى ، أرداد « جو »
كأبة وحزنا .. وقال لى بتأثر شديد : هل حقاً
سأفتقدك يا « بيب » .. افتقد الصبى المطيع
الذى كان يساعدنى فى أعمال الورشة .. افتقد
الصديق العزيز الذى أحببته منذ أن كان طفلاً ..
ما أسعد الليالى التى كنا نجلس فيها معا أمام
المدفأة ..

ونزلت من عيني الدموع .. لأن شغفى بالسفر
الى لندن .. واحساسى بأن آمالى ومنياتى الكبرى
فى سبيلها الى أن تصبح حقيقة واقعة .. وهذه الحالة
الطارئة التى غيرت مجرى حياتى .. كل ذلك قد
جعلنى أوشك أن أنسى أعز أصدقائى .. « جو » ..



بيپ يصل الى لندن

الفصل الثامن

حياتي الجديدة

سافرت الى لندن راكبا عربة تجرها أربعة جباد
قطعت المسافة في نحو خمس ساعات . وكنت أشعر
بالرهبة حيال هذه المدينة الكبيرة ، الا أنى صدمت حين
رأيتها مدينة غير نظيفة ، ملأى بشوارع ضيقة متعرجة
قبيحة الشكل ..

وذهبت مباشرة الى مكتب « مستر جاجرز » ..
حيث أخبرنى بقيمة الحصة المخصصة لى من المال ..
وهى مبلغ كبير أكثر مما كنت أتوقعه .. كما أعطانى
مجموعة من البطاقات المالية التى أستطيع أن أتعامل



بيب ووميك يصلان الى خان بارنارد

بها مع الحياطين و:عصحاب المحلات الأخرى التى اشترى منها حاجياتى على الحساب ، وعلى أن ترسل الفواتير الى مكتب « مستر جاجرز » ليقوم بدفعها وتسوية حساباتها . . ورضيت تماما بتلك الطريقة التى تسهل أمور حياتى ، كما تساعد « مستر جاجرز » فى مراقبة نفقاتى . .

ونادى « مستر جاجرز » على كاتبه «مستر وميك» ليقوم بتوصيلى الى الحجرات المخصصة لاقامتى مع الشاب الصغير « هربرت بوكيت » .

كان « مسنر وميك » رجلا قصيرا ونحيفا . . تتألق عيناه بنظرة : حادة . . وقادنى الرجل الى مبنى كبير يسمى « خان بارنارد » وهو عبارة عن مجموعة من المباني يتوسطها حوش كبير . . ودخلنا من البوابة ، ثم اتجهنا الى أحد تلك المباني ، وصعدنا درجات السلم الى حجرات الطابق العلوى . . ولكننا وجدنا على الباب ورقة معلقة مكتوب عليها : « سأحضر حالا » . . ولأن الباب كان غير مغلق ، لذلك فقد دلفنا الى الداخل . .



هربرت بوکیت یرحب بیب

وعندئذ قال لى « مستر وميك » : أعتقد انك
لست فى حاجة الى الآن . . . وعلى أن أنصرف . . . وأعتقد
أننا سنتقابل بعد ذلك بين حين وآخر لأنى أشرف على
الحسابات المالية الخاصة بمكتب « مستر جاجرز » . . .
وشكرته كثيرا قبل أن ينصرف . . . وأخذت أفحص
تلك الحجرات المخصصة لسكنى باعتبارها البيت الجديد
الذى سأعيش فيه حياتى فى لندن . . . كانت الحجرات
كبيرة وتبدو أوسع مما هى عليه فعلا ، وذلك بسبب قلة
ما فيها من قطع الأثاث . . . كما كانت تبدو غير نظيفة
بدرجة كافية ، وان كان هذا أمرا محتملا باعتبارها
مسكونة بشخص أعزب . . .

وبعد نحو عشرين دقيقة ، سمعت وقع خطوات
بالصالة . . . وظهر شاب صغير يافع ، يحمل فى يده
صندوقا صغيرا به كمية من ثمار الفراولة . . . ابتسم
الشاب ابتسامة مرحبة وهو يلتقط أنفاسه وقال :
« مستر بيب » . . . !؟

فابتسمت مرحبا وقلت : نعم يا « مستر
بوكيت » . . .

واعتذر لى قائلا : آسف لتأخرى .. فقد كنت
لا أعرف الموعد الحقيقى لوصول العربى الى لندن ..
ورأيت من الأفضل أن أقدم لك مع غداك بعض الفواكه
الطازجة .. لذلك فقد خرجت لاشتريها ..

وكان هذا اللقاء أول دليل على أن « هربرت »
شخص طيب وعطوف .. وبدأنا الحديث دون أن يتيح
أمامى فرصة لأشكره .. بينما استمر هو فى التحدث
عن ترتيب حياتنا معا ..

وفى مطعم بالمبنى المجاور كنا نتناول وجباتنا ،
وبترتيب سابق مع « مستر جاجرز » كنت أقوم
بالتوقيع على فواتير الحساب الخاصة بنا معا .. فقد كان
« هربرت » فقيرا رغم أنه « جنتلمان » حقيقى ..

وقد اعترف لى « هربرت » بفقره بطريقة صريحة
ومهذبة جعلتنى أحبه أكثر وأكثر فى كل دقيقة تمر
منذ لقائنا .. وكان يتقاضى دخلا متواضعا من البنك
الذى يعمل فيه .. وهو دخل يكفى بالكاد للوفاء
بالمصاريف الشهرية ..

وأحضر الخادم لنا غداء شهيا يتكون من دجاج
محمر وزبد وجبن وخبز .. وربما بدا لي مثل عذ
الغداء أحسن مما هو عليه فعلا .. على الأقل لاحتاسي
بأنى قد أصبحت الآن مستقلا .. وفى لندن !

ولا أدري ان كان « هربرت » يعرف قصتى عن
طريق « مستر جاجرز » أو عن طريق الآنسة
« هافيشام » التى تمت اليه بصلة القربى .. ولكنى
رأيت أن أحكيها له بنفسى .. ولذلك فقد استغرقت
ساعة كاملة حكيت له فيها كل التفاصيل .. وعندما
انتهيت ، طلبت منه أن يصح لي عاداتى وتصرفاتى
وأن يرشدنى الى طريقة الحياة اللندنية .. !

وطال علينا الوقت ومازلنا جالسين الى المائدة
نتناول طعامنا ونتحدث .. ثم بدأ « هربرت » يحكى
لى قصة حياة الآنسة « هافيشام » .. قائلا : لقد ماتت
أمها حينما كانت طفلة صغيرة .. وقد أهلكها أبوها ..
ولكنها ورثت عنه ثروة طائلة .. على فكرة يا «بيب» ..
ليس من المعتاد هنا فى لندن أن تضع السكين فى فمك



هربرت یصح عادات پیب

أثناء تناول الطعام .. فالشوكة هي المخصصة لهذا
الغرض .. هذه ملاحظة بسيطة ..

قال هذه الملاحظة برقة شديدة وبلطف لم
يغضبني ، بل على العكس فقد شكرته على تنبيهى الى
ذلك ..

وأكمل « هربرت » القصة التى كان يرويها فقال :
وقعت الآنسة « هافيشام » فى حب رجل أنيق كان
أبى لا يثق فيه أبدا .. ولكنها أعطته مبالغ كبيرة من
النقود أثناء فترة خطبتهما .. وفى اليوم المحدد
للزفاف .. أرسل هذا الرجل رسالة يتنصل فيها من
هذا الزواج .. وقد استلمت الآنسة « هافيشام »
هذه الرسالة الساعة

فقاطعته على الفور : فى الساعة التاسعة الا
عشرين دقيقة بينما كانت ترتدى ملابس الزفاف ..

وقال « هربرت » : بالضبط .. فقد أوقفت
عقارب جميع الساعات الموجودة ببيتها عند هذا الوقت ،
وأمرت بعدم المساس بأى شئ من ترتيبات الحفل منذ



هربرت يحكى قصة الأنسة هافيشام

تلك اللحظة حتى يومنا هذا .. ملاحظة صغيرة يا عزيزي
« بيب » لا دأى وأنت تشرب بقية ما فى كأسك ، أن
تميل الكأس على فمك بهذه الطريقة التى جعلت حافة
الكأس العليا تمس أنفك ..

وبسرعة أنزلت الكأس ، وشكرته على هذا
التصحيح .. وسألته : ولكن لماذا لم يتزوج هذا الرجل
من الأنسة « هافيشام » ويسيطر بالتالى على كل
أموالها .. ؟!

فقال : لا يدري أحد .. ولكننا نعتقد أنه كان
متزوجا بالفعل .. وهذا يؤكد أنه كان مخادعا طوال
الوقت .. وأن حبه للآنسة « هافيشام » كان زائفا ..

فهزئت رأسى أسفا وأنا أقول : مسكينة يا آنسة
« هافيشام » ! .. وأقول فى سرى : مسكينة أيتها
المحسنة الكريمة .. !!



مقابلة مستر بوكيت واثنين من الطلبة

الفصل التاسع

زائر من الريف ..

وفى اليوم التالى ، حصل « هربرت » على أجازة من عمله ، لكى يصحبني الى بيت والده ويقدمنى اليه .. ومنذ اللحظة الأولى ، أحببت معلمى .. كان ذا شعر رمادى ووجه ملى ، بحيوية الشباب تعلوه ابتسامة طبيعية .. وكان يشبه « هربرت » الى حد كبير ..

وأفهمنى المعلم أنى سألقى دروسى مع زميلين هما : « ستارتوب » الصديق الطيب .. و « بنتلى درامل » الذى تبادل مع الكراهية من أول نظرة .. وقد علمت فيما بعد أن « درامل » يتبادل هذه الكراهية

مع معظم الناس لأنه كان يعتبر نفسه فوق الآخرين وأعلى من أن يتبادل الصداقة مع الناس العاديين .. كان ينتمى الى الطبقة الارستقراطية ولكن أخلاقه وطباعه كانت فظة ..

ولقد قلت لصديقى : « هربرت » فيما بعد أن « درامل » هذا يذكرنى بعنكبوت كبير وأنه يشير التقزز مثل هذا العنكبوت ..

وبدا معلمى « مستر بوكيت » على الفور فى شرح الدروس التى سألتها ، وذكر الأماكن والمعالم الهامة فى لندن التى يجب أن أزورها .

وفى يوم ما ، بينما كنت جالسا بمسكنى فى « خان بارنارد » .. رأيت أن من الأفضل أن أغير أثاث جميع الحجرات وأعيد تجميلها ، وأن يكون ذلك مفاجأة طيبة « لهربرت » .. يجب أن أغير السجاجيد والستائر وقطع الأثاث الأخرى ..

وعندما أبلغت « مستر جاجرز » بتلك الرغبة ، ضحك وهو يقول : كنت على يقين بأنك لن تسنفرق

وفتا طويلا لكى تستوعب جمال الحياة فى المدينة ..
كم تريد من المال لكى تنفذ رغبتك .. ؟!

وبينما كنت أضمن المبلغ التقريبى الذى يكفى
لعمل هذه التجديدات ، دخلت مديرة المنزل الخاص
« بمستر جاجرز » لتقدم وجبة ساخنة من الطعام ..
كانت امرأة طويلة فى حوالى الأربعين ولها عينان
واسعتان خابيتا النظرات .. وعلى الفور ، لاحظت أنها
غير طبيعية .. وأن تصرفاتها وطريقة عملها تتسم بشئ
من الذلة .. رغم أن الطعام الذى قدمته كان لذيذا
وطيبا ..

وعندما حددت المبلغ التقريبى الذى أطلبه ..
نادى « مستر جاجرز » على « مستر وميك » وأمره بأن
يصرف لى هذا المبلغ فورا ..

لقد سر « هربرت » كثيرا بالتجديدات التى حدثت
بالمسكن ، وظل طيلة اسبوع بأكمله يشد على يدي
كل يوم مهنئا اياى على المنظر الجميل الفخم الذى
أصبحت عليه الشقة ..

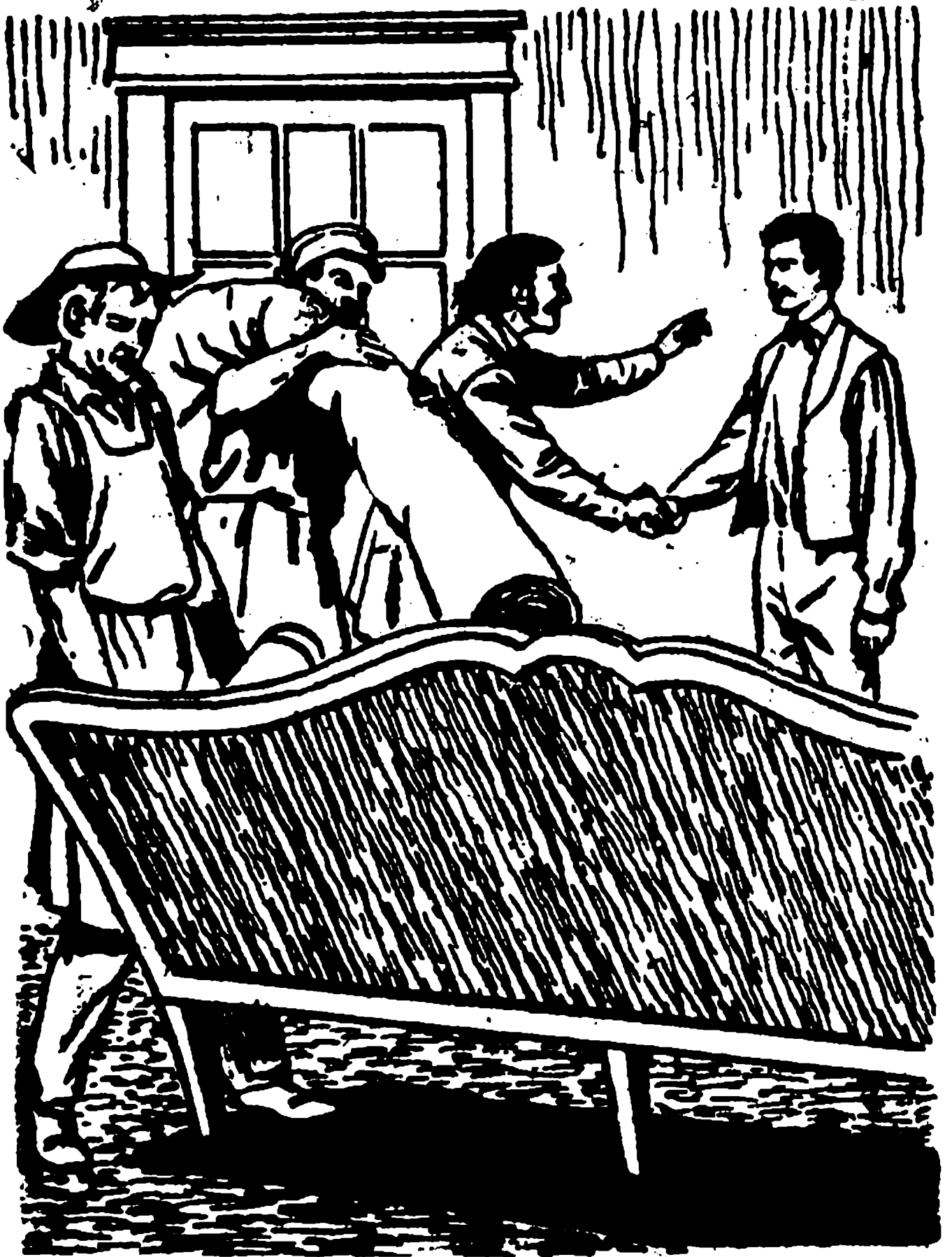


خادمة جاجرز تقدم طعام الغداء

وما أن انتهى تجميل الشقة على هذا النحو ،
حتى أخبروني بأن هناك زائرا ينتظرني .. زائر
لا يستطيع التمييز بين سجاجيدى الشرقية المفروشة
على أرض الشقة ، وبين البساط الكالغ القبيح المفروش
بغرفة الجلوس بمنزل أختي ..

كانت « بيدى » قد كتبت الى رسالة تخبرنى بأن
« جو » يرغب فى الحضور الى لندن لزيارتى .. وكتبت
لها ردا أحدد فيه الموعد المناسب لهذه الزيارة .. وفى
حقيقة الأمر كنت لا أريد لهذه الزيارة أن تتم .. بل
وكننت على استعداد لدفع أى مبلغ من النقود لمنع هذه
الزيارة من الحدوث .. ولكن كيف كان يمكن ابلاغ
« جو » بكل ذلك .. كيف كان يمكن ابلاغه بأنى لم
أعد « بيب » الذى كان يعرفه .. ؟!

وفى اليوم الموعد .. سمعت وقع خطواته وهو
يصعد السلم . وعند وصل أمام الباب الخارجى ظل
يمسح قدميه فى المسحة الموضوعة بعتبة الباب حتى
كاد أن يبليلها .. وأخيرا دخل .. وأمسك بيدى
الاثنتين وأخذ يرفعهما الى أعلى يخفضهما الى أسفل كما



بيب يشتري اثاثا جديدا

لو كان يجرب نوعا جديدا من طلبات المياه ..

وحاولت أن آخذ منه قبعته لأعلقها في المكان المناسب ، وقد لاحظت أنها قبعة جديدة .. ولكنه تمسك بها وكأنها أثمن شيء يمتلكه .. وظل يدور بنظرات عينيه متفحصا كل شيء .. وينظر في اعجاب الى « الروب » الذي ارتديه ، والى قماشه الفخم المبلون بأشكال الزهور .. ولكنه لم يتكلم كثيرا .. وامسك لسانه وظل صامتا ..

وسررت عندما وصل « هربرت » أخيرا .. وتبعه الخادم الذي يحمل لنا الطعام .. وقبل أن يجلس « جو » الى المائدة ، تخطى عن قبعته ، ووضعها بعناية فوق الرف الرخامي بأعلى المدفأة . حيث سقطت عدة مرات الى الأرض . وكان يعيدها الى الرف في كل مرة .

وسأله « هربرت » في أدب : « مستر جارجرى ، .. هل تريد شايا أم قهوة ؟ »

فاجاب « جو » : شكرا لك يا سيدى .. أريد أى شيء تختاره بنفسك ! ..



حضر جو للزيارة

- اذن .. سأصب لك بعض القهوة ..
فظهرت ملامح عدم الارتياح على وجه « جو » ،
وقال : شكرا يا سيدى .. مادمت قد اخترت القهوة
فلن أستطيع أن أعارضك فى ذلك .. ولكن ألا ترى
أنها تزيد الانسان انفعالا .. ١٩
فقال « هربرت » وهو يصب له بعض الشاى :
- فليكن الشاى اذن .. !

وهنا سقطت قبعة « جو » من فوق الرف .
فالتقطها وأعادها الى نفس المكان .. وقد لاحظت أنه
كان كثير السرحان حين كان يتناول طعامه .. وأنه
جلس على مسافة بعيدة من المائدة لدرجة أنه أسقط
كمية من الطعام أكثر من الكمية التى أكلها ..

وعندما انصرف « هربرت » شعرت بكثير من
السعادة والارتياح .. لأننا أصبحنا وحدنا .. انا
و « جو » الذى كان يشعر بشيء من القلق وعدم الارتياح
والحرج .. زبما لأنه أحس بما يدور بنفسى حيال هذه
الزيارة ..



عادات جو تضایق پیب

ومع ذلك فقد بدا « جو » حديثه قائلا : والآن ..

أصبحنا وحدنا يا سيدى

فقاطعته على الفور وصحت غاضبا : من فضلك

يا « جو » .. كيف تنادينى بياسيدى .. ١٩

فأخفض عينيه ونظر الى الأرض وهو يقول :

لقد أخطأت بالمجئ الى هنا يا « بيب » .. ان ملابسى

غير لائقة .. أنا أنتمى الى ورشة الحدادة والفرن

والمستنقعات .. أنا أعترف بأنه كان تصرفا يتسم

بالغباء .. عندما جئت لزيارتك هنا .. ولكنى

أرجوك عندما نريد رؤية صديقك القديم « جو » ..

فتعال الى الورشة .. وأدخل رأسك فى فرن الحدادة

كما كنت تفعل من قبل .. والآن .. وداعا يا عزيزى

« بيب » .. وبارك الله فيك .. بارك الله فيك .. !

ولعدة أسابيع تالية .. ظلمت أشعر بالخجل من

نفسى بسبب ما حدث فى زيارة « جو » .. وقد ازداد

هذا الاحساس عندما وصلتنى رسالة تخبرنى بموت

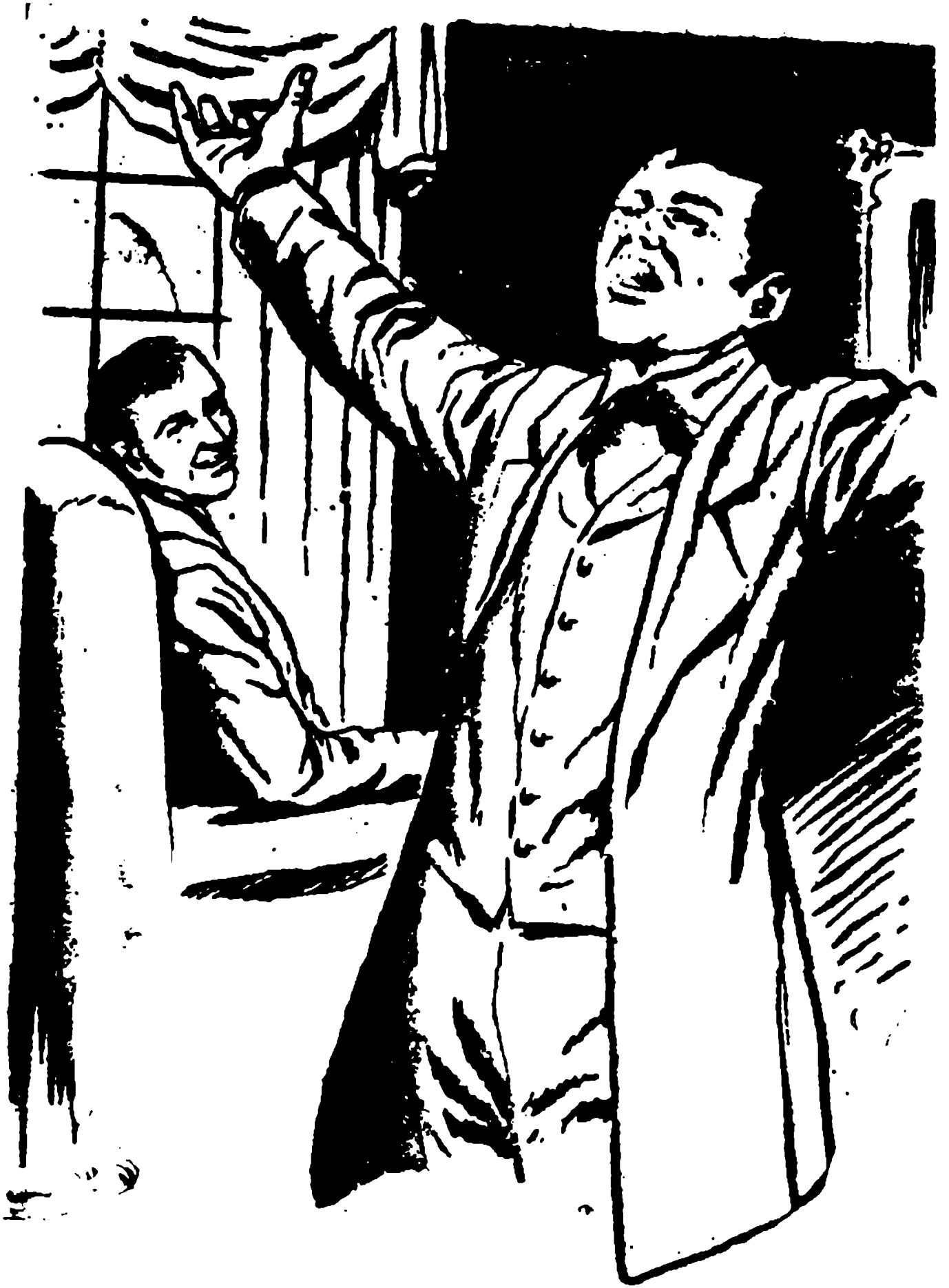
أختى .. رغم أن خبر موتها جعلنى أحس بشيء من

الراحة ..



انباء طيبة من سستلا

ومرت عدة سنوات الى أن بلغت سن العشرين ..
وفى يوم ما ، وصسلتنى أخبار طيبة .. أخبار من
الماضى .. فقد أنبأنى « مستر جاجرز » بأن « ستلا »
قد عادت أخيرا من فرنسا .. وأنها تنوى أن تعيش
فى لندن .. وأنها تدعونى لمقابلتها ..
يالها من أخبار عظيمة ! ..



بيب في قمة السعادة

الفصل العاشر

ستلا ٠٠!

فاضت نفسى بأحاسيس الفرح وقمة السعادة ٠٠
فهاأنذا سأرى « ستلا » وأقابلها مرة أخرى بعد كل هذه
الغيبة ٠٠ وانطلقت أغنى ٠٠ وأضحك ٠٠ مسرورا
بكل شيء فى الدنيا ٠٠

وكنت أتصور أن « هيربرت » سيفرح بسعادتي
الغامرة ٠٠ واعترفت له وأنا أشعر بشيء من الحجل
بأنى أحب « ستلا » واعتبرها أغلى أمنية فى حياتى ٠٠!

وكنت أعتقد أنى أفضى اليه بأحد أسرارى الهامة،
ولكنه تقبل اعترافى كأمر واقع معروف ، وقال :
اعرف ذلك !

واندهشت ٠٠ وقلت له متلعثما : ولكن كيف ٠٠
كيف عرفت ذلك ٠٠ ؟

فاجاب ببساطة : كان مكتوبا في عينيك وانت

تحكى لى عن طفولتك .. وزياراتك لمنزل الانسة
« هافيشام » ..

وشعرت باحساس غامر من السعادة والارتياح
وانا احكى قصة حبي لصديقى « هربرت » وأبدى له
اعجابى الشديد « بستلا » وجمالها الرائع الأخاذ ..
وباحساسى الدفين داخل نفسى بانى قد لا أستحق
حبها .. رغم أن فكرة زواجى بها تعتبر أعظم أمل فى
حياتى ..

وكنت أظن فى قرارة نفسى ، أن الانسة
« هافيشام » كانت تخطط لزواجى من « ستلا » ..
والا .. لماذا جعلت منى « جنتلمان » .. ووهبتنى
كل هذه الثروة ؟!

ووافقنى « هربرت » فى هذا الاستنتاج وقال انه
هو وكل اقارب الانسة « هافيشام » يظنون أن الامر
كذلك .. ولكنى شعرت بعدم الارتياح باديا فى
نظرات عينيه ، خصوصا عندما قال : الآن يا عزيزى
« بيب » .. أريد أن أقول لك شيئا لا يسرك ..

ولكنى قبل أن أنطلق بكلمة .. أريد أولا أن أعترف
لك بأنى أعيش أيضا قصة حب .. وحبىبتى اسمها
« كلارا بارلى » .. وسأرتب لك لقاء معها نكى تراها
بنفسك .. وانى أقول هذا حتى لا تظن أن لدى أى أمل
أو رغبة فى الزواج من « ستلا » ..

وبطبيعة الحال فان هذا التصور لم يدر بذهنى
أبدا .. لذلك فقد تركت « هربرت » لبواصل حديثه
قائلا : عندما كان « مستر جاجرز » يملى عليك الشروط
الخاصة بآمالك الكبرى .. هل ذكر ضمن هذه الشروط
أن زواجك من « ستلا » أمر واجب وضرورى .. ؟!

فأومأت براسى : لا .. طبعاً ..

– اذن فأنت غير ، بيد بضرورة الزواج منها ..
وأنا أطلب منك – بمنتهى الاصرار – أن تتخلى عن
حبها .. !
د

**فتساءلت وأنا أشعر باضطراب شديد من هول
المفاجأة : ولكن .. لماذا .. لماذا يا « هربرت » .. ؟**



هربرت يعترف بحبه لكلارا

فقال بهدوء : تذكر طريقة تربيتها ونشأتها ..
تذكر أن الأنسة « هافيشام » قد جعلتها تتشبع بأفكارها
ومشاعرها .. تذكر كيف كانت « ستلا » متعجرفة
وباردة القلب .. تذكر أنها تكاد أن تكون صورة طبق
الأصل من الأنسة « هافيشام » .. !
أحسست وكأنى على وشك الانهيار .. وقلت
والسموع تنهمر من عيني : ولكنى لا أستطيع أن أتخلى
عن حبها أبدا .. انى أعبدها .. !
وفى الحقيقة كنت أقدر مشاعر « هربرت »
نحوى .. ومع أن أوصافه لشخصية « ستلا » قد
ضايقتنى .. الا انها ظلت عالقة بذهنى وكامنة فى
نفسى لمدة طويلة ..

وكنت فى ذلك الوقت قد بلغت الحادية والعشرين
من عمري .. بلغت سن الرشده .. فأعطانى « مستر
جارجز » حرية التصرف فى أموالى .. كما سمح لى
بأن أحصل على قروض محدودة .. وخصص لى مبلغ
خمسمائة جنيه سنويا ، كما منحنى خمسمائة جنيه
أخرى كهدية من المحسن الكريم الذى يرعانى بمناسبة
بلوغى سن الرشده .



هربرت يحدو بيب من ستلا

وبطريقة سرية ساعدنى فيها « مستر وميك »
استخدمت حوالى نصف هذه المبالغ فى شراء وظيفة
« لهربرت » فى احدى الشركات الملاحية التى أنشئت
حديثا .. وهى شركة يمتلكها شاب ذكى أمين اسمه
« كلاريكار » كان فى حاجة الى مساعد نشيط بشرط
أن يساهم فى الشركة بجزء من رأس المال ..
وتعاقدت مع « مستر كلاريكار » على أن تكون
هذه الوظيفة من حق « هربرت » .. وقدمت اليه جزءا
من رأس المال .. كما التزمت بأن أقدم حصة أخرى
من رأس المال فى الوقت المناسب حتى يصبح
« هربرت » شريكا كاملا فى هذه الشركة ..
وكان « هربرت » فى غاية السعادة وهو يخبرنى
بأمر تلك « الفرصة » الذهبية التى عرضها عليه
« مستر كلاريكار » .. وقد اعتبرت سعادته هذه
خير مكافأة لى على هذا الصنيع الجميل .. وحرصت
دائما على اخفاء هذا الأمر عن « هربرت » حتى لا يعرف
من هو « المحسن » الذى وضعه فى هذا المركز ..
وكان هربرت يزداد سعادة فى كل يوم يقضيه فى
عمله الجديد ..



هربرت يحصل على الوظيفة

وفى ذلك الوقت كانت « ستلا » قد بدأت حياتهم الجديدة فى لندن ، وأخذت تتمتع بكل دقيقة فيها ؛ وكانت الأنسة « هافيشام » قد رتبت أمر اقامتها من سيدة أرملة من سيدات المجتمع لها ابنة شابة فى عمر « ستلا » . . وكانت لهذه الامرة صلات عديدة فى المجتمعات الراقية . . ولهذا كانت « ستلا » تدعوى دائما لمرافقتها الى حفلات الرقص التى تدعى اليها ، ومصاحبتها فى جولات الشراء التى تقوم بها .

كان من المفروض أن أصبح سعيدا بكل ذلك . . ولكنى لم أحس أبدا بطعم هذه السعادة . . لأن « ستلا » كانت تعاملنى كأخ نصف شقيق لها . . از كانى أعمل سكرتيرا فى خدمتها . . ورغم أن الكثيرين من الشباب المعجبين بها كانوا يحسدوننى على ذلك إلا أنى لم أجد فى ذلك أية سعادة أو متعة . .

وفى إحدى الأمسيات سألتنى : « بيب » . . هل يا ترى تصدق ما يقال لك من ضرورة الحذر منى ؟ .

فسألتها بالتالى : هل تقصدين تحذيرى من

الانجذاب اليك يا « ستلا » . . ؟



بيب يرافق ستلا في الحفلات

فاجابت : اذا كنت لا تعرف حقيقة ما أقصده

ولا شك فى أنك أعمى لا ترى

ورغم بقينى بأن الحب أعمى .. فقد كنت أبرد ..

دائما فى الاعتراف لها بحبى .. وكنت على يقين بأنها

تطيع الأنسة « هافيشام » طاعة عمياء .. لذلك فقد

سئمت أن أظل هكذا عبئا عليها .. وازدادت بالتالى

أسباب تعاستى ..

وفى نفس الأمسية .. أمرتنى « ستلا » بأن

استعد لمرافقتها فى زيارة الأنسة « هافيشام » التى

أرسلت لها دعوة بالحضور لمقابلتها .. وقالت لى

« ستلا » انها لا تحب أن تسافر وحدها ...

وبعد أن تناولنا الطعام على مائدة الأنسة

« هافيشام » .. جلسنا جميعا جوار المدفأة .. وطول

الوقت لم تستطع الأنسة « هافيشام » أن ترفع عينيها

عن التأمل فى وجه « ستلا » .. وطلبت منها بشغف

أن تحكى لها بنفسها قصص ضحاياها من المعجبين الذبن

أخضعتهم .. وعلمت أن « ستلا » كانت تكتب لها



يا صاحبة القلب البارد

قصص هؤلاء الضحايا أولا باول .. لأنى لاحظت أن
الآنسة « هافيشام » كانت تعرف أسماء كل المعجبر
الذين أخضعتهم « ستلا » ثم نبذتهم واحتقرتهم ..
وعندما رأيت عيني الآنسة « هافيشام » وهما
تبرقان من أثر الاستمتاع الشرير بسماع هذه
الحكايات .. تأكدت أنها تنتقم الآن من الرجال
وتأخذ بثأرها من الرجل الذى تخلى عنها فى يوم
عرسها .. !

وجذبت الآنسة « هافيشام » يد « ستلا »
وقربت بها منها .. ولكن « ستلا » جذبت يدها فى
ضيق بطريقة أغضبت الآنسة « هافيشام » التى صاحت
بأكية : « ستلا » .. هل تعبت منى ؟ !

فاجابت « ستلا » بهلوء تام : لقد تعبت من
نفسى .. !

فصرخت فيها المرأة العجوز وهى تهز عصاها :
ما انت الا تمثال من حجر لا قلب له .. !

فردت « ستلا » بنفس الهلوء : أنت التى
علمتيني أن أصبح بلا قلب ..



لقد حذرني من الوقوع في الحب

فبكت الأنسة « هافيشام » وهى تقول :

عم تصبحين بلا قلب .. ولكن ليس ضدى أنا ..
بل ضد الرجال فقط .. يجب أن تبادلينى ما أشعره
نحوك من حب .. !

وعندئذ هزت « ستلا » رأسها وهى تقول فى

أسى : يا أسى بالتبنى .. انى مدينة لك بكل شىء ..
وسأفعل كل ما تطلبين .. ولكنى لا أستطيع أن أفعل
المستحيل .. لقد علمتيني كيف أجعل قلبى باردا
كالحر .. علمتبنى كيف لا أحب أحدا .. ولقد وعيت
دروسك جيدا .. !

ولم أستطع مشاهدة بقية هذا المشهد الغريب ..
فتركت الحجرة وخرجت الى الحديقة .. ومع ذلك فقد
كانت توصلات الأنسة « هافيشام » الذليلة تصل الى
سمعى



کمپالات وفواتير وديون !!

الفصل الحادى عشر

اكتشاف شخصية «المحسن»

انقضت عدة شهور بعد انتهاء الاحتفال بعيد ميلادى الحادى والعشرين .. وأحسست بأنى قد أصبحت عاجزا تماما عن حل المشكلة التى صنعتها بنفسى .. كنت أرغب فى التحرر من ديونى والاعتماد فقط على مبلغ الخمسمائة جنيه التى يهبها لى « المحسن الكريم » فى كل سنة ..

والحقيقة ان ديونى كانت كبيرة وكثيرة فبالإضافة الى التزامى بدفع المبلغ الكبير الخاص بالعقد الذى اتفقت عليه لصالح « هربرت » .. كانت على ديون أخرى



بيب يسمع خطوات على السلم

للخياط ولبائع المشروبات وللجواهرجي ولكثيرين
غيرهم ..

والأمل الوحيد الذى كان يراودنى للتخلص من
هذه المشكله ، هو أن يقوم « المحسن » الذى يرعانى
باهدائى مبلغا اضافيا فى كل عيد من أعياد ميلادى ..
وبهذه الطريقة وحدها ، أتمكن من تسديد ديونى ،
والاستمرار فى الحياة الرغدة التى أحيها ..

وعندما بلغت سن الثالثة والعشرين ، أصبحت
أضحك ساخرا من « بيب » الذى كان يظن عندما
وصل الى سن الحادية والعشرين ، أن مبلغ الخمسمائة
جنيه سنويا كان يعتبر ثروة طائلة .. ولم أفكر مطلقا
فى « بيب » الذى كان يعيش فى مقاطعة « كنت »
ويظن ان مهنة الحدادة التى يمارسها هى أفضل وظيفة
فى هذا العالم ..

لقد توقفت عن تلقى الدروس .. ولكنى واصلت
القراءة والاطلاع لعدة ساعات يوميا .. وفى احدى
الليالى هبت عاصفة باردة شديدة منعتنى من الخروج ،
ولزمت البيت واستغرقت فى القراءة ..



وصل رجل غريب ..

كنت وحدى .. لأن « هربرت » كان قد سافر
فى مأمورية تخص عمله بالشركة الملاحية .. ودقت
ساعة « كاتدرائية سان بول » القريبة الحادية عشرة
قبل منتصف الليل ، فقطعت جبل استغراقى فى
القراءة ، ثم تنبهت فجأة الى وقع أقدام تروح ويغدو
فى الممر الخارجى أمام الباب .. ونظرا لأن الريح
الشديدة قد أطفأت كل المصابيح واللمبات التى تضىء
السلم والممر ، فقد حملت مصباح القراءة وفتحت الباب
لأتبين الأمر .. وما أن سطع ضوء المصباح فى ظلام
الممر ، حتى توقفت الخطوات .. فصحت فائلا : من
هناك .. وماذا تريد .. ؟ !

فجاءنى صوت رجل أخذت أتبين ملامحه بالتدريج
فى ضوء المصباح : أنا هنا يا سيدى .. أبحث عن
« مستر بيب » .. !

وما أن رأنى هذا الرجل الغريب ، حتى تهللت
أسارير وجهه وبدأ عليه السرور .. كان يرتدى ثيابا
جديدة ولكنها خالية من الذوق .. وكان ذا شعر رمادى
طويل .. ويبلغ نحو الستين من عمره ، الا أن جسمه

كان يبدو قويا مفتول العضلات .. وعندما أصبح
قريبا منى مد الى يديه اللتين لاحتها الشمس ..
ولم أدر ماذا أفعل .. الا انى قلت بكثير من الثبات :
انا « بيب » .. ماذا تريد منى .. ؟

وصمت الرجل الغريب برهة .. وكأنه كان
يتوقع أن أدعوه الى الدخول .. وتردد وهو يقول :
آه .. أريد أن أشرح لك بعض الأمور ..

فاضطرت الى دعوته للدخول بطريقة جافة ..
وكنت مندهشا من فيض الاحساس بالسعادة الذى
غمر هذا الرجل الغريب بمجرد أن رآنى وعرف من
أنا .. وما أن وصلنا الى غرفة الجلوس حتى ابتسم
الرجل الغريب ابتسامة راضية مطمئنة ومد الى يديه
مرة أخرى .. حتى ظننته مجنونا .. لذلك فلم أمد
اليه يدي .. فشعر الرجل بالاحراج وتلعثم وهو يقول :
آه لقد فهمت .. وانت غير مخطيء فى هذا على الاطلاق
.. ولكن أرجو ألا تشعرنى باليأس بعد أن قطعت
رحلة طويلة حتى أراك وألقاك ..

وخلع الرجل قبضته ومعطفه ، وحلس على مقعد

جوار المدفأة ، ومد يديه الى النار ليدفئهما .. ونظر الى
قائلا : ألا يوجد أحد هنا غيرنا ؟

فقلت بغضب : بأى حق تسألنى هذا السؤال ..
وما انت الا رجل غريب لا أعرفه .. اقتحم بيتى فى
هذا الوقت المتأخر من الليل .. !

فهز الرجل رأسه مبتسما وقال : أنت رجل
شجاع يا « بيب » .. أنا مسرور لأنك قد أصبحت
شجاعا الى هذا الحد ..

وفى لمح البصر ، سطعت بذهنى فكرة كالبرق ..
لقد عرفت الرجل .. انه السجين الهارب الذى قابلته
بين المقابر فى ساحة الكنيسة التى تطل على مستنقعات
« كنت » .. !!

وعندما شعر الرجل أنى قد عرفته ، مد الى ..
مرة أخرى .. فمددت اليه يدي مستسلما هذه المرة ..
وفى الحال رفع الرجل يدي الى فمه وأخذ يقبلهما معبرا
عن الاعتراف بالجميل .. وقال : لقد كنت نبلا وكريما
معى يا بنى .. وسأظل أذكر أبدا « بيب » النبيل



اذكر دائما بيب النبيل ..

الكريم الذى قابلته يوما ما فى الماضى البعيد .. !
وعندما أوشك أن يحتضننى ، وضعت يدي على
صدره ودفعته بعيدا عني .. وقلت له بحزم : اذا
كنت قد جئت الآن لتشكرنى بعد هذه المدة الطويلة ..
فان ذلك غير ضرورى ولا أهمية له .. واذا كنت قد
ساعدتك وأنا طفل صغير ، فلعلك قد اخترت لنفسك
طريقا صالحا وحياة أفضل من حياتك السابقة .. وعلى
أية حال .. فأنا لا أستطيع أن أوفر لك الآن أية
حماية .. !

صمت الرجل طويلا .. وأخذ يدور بعينه فى
انحاء الغرفة ، الى أن استقرت نظراته على زجاجات
الشراب المرصوفة على رف جانبي .. وعندئذ قلت
له : لا بأس فى أن تتناول كأسا من الشراب ليدفئك
قبل أن تنصرف .. !

وجلس الرجل على المقعد مرة ثانية وقال :
شكرا لك .. أريد كأسا من الوبسكى .. !

وصببت له كأسا .. وصببت لنفسى كأسا



لقد حققت نجاحا كبيرا

آخر .. وقلت له بلا اهتمام : هاه .. كيف كنت
نعيش فى كل تلك السنوات الماضية .. ؟

فقال بهدوء : لقد عشت حياة ناجحة فى
نيوساوث ويلز ، فى « استراليا » .. وامتلك الآن
مزرعة وقطعانا من الغنم .. ولكن هل لى أن أسألك
بدورى عن مجرى حياتك منذ أن تقابلنا ونحن نرتعش
من البرد فى مستنقعات « كنت » ..

واضطرت مكرها أن أعطيه ملخصا وجيزا عن
مجرى حياتى .. وبعد أن انتهيت من ذلك قال الرجل
بهدوء : أستطيع أن أخمن مقدار دخلك منذ أن بلغت
سن الرشد .. انه مبلغ يقدر بخمسمائة جنيه سنويا
.. أليس كذلك .. ؟

كان يوجه نظرات ثابتة نحو عيني .. ورغم
صوته الهادئ .. كنت أحس أن كلماته تدوى
كالصرخات داخل كيانى .. وأخذت ارتعد ..

وقال الرجل مواصلا حديثه : وأستطيع أن أخمن
أيضا أنك تحصل على هذا الدخل من خلال رجل يعمل



لقد جعلت منك « جنتلمان » ..

بالوساطة .. رجل يبدأ اسمه بحرف « ج » .. أليس
كذلك ؟ ..

ولم أستطع الكلام .. وشعرت كأنى سأختنق ..
واستندت على طرف المائدة .. وواصل الرجل حديثه :
فى الواقع ان اسم الرجل الواسطة هو « جاجرز » ..
واسم كاتبه هو « وميك » .. أليس كذلك ؟ ..

وأخذت رأسى تلف وتدور .. وكدت أتهاوى
وأنا أحاول الجلوس على الأريكة .. وساعدنى الرجل
على الجلوس وركع على احدى ركبتيه أمامى وهو يقول :
نعم يا « بيب » .. يا بنى العزيز .. لقد جعلت منك
« جنتلمان » حقيقيا .. أنا الذى فعلت كل هذا من
أجلك .. وعندما بدأت أكسب الملايم ، أقسمت أن
يذهب كل ما أكسبه اليك .. ثم عندما بدأت أكسب
الجنيهات .. أقسمت مرة أخرى أن أحرم نفسى من
لذائذ الحياة لأوفر لك ما يساعدك على أن تستمتع بحياة
رغدة ..

وبدأت ارتعد خوفا منه .. كما لو كان قد تحول

الى وحش مفرس ولكنه واصل حديثه بنفس
الهلواء والفرح : انك أعز على من ابن حقيقى يا «بيب» ..
وكم من الليالى التى كنت أقضيها مفكرا فيك فى وحدتى
البعيدة .. وعندما كنت أتناول طعامى فى تلك العزلة
بعد الانتهاء من عملى فى رعى الغنم .. كنت أتخيل
وجهك الصغير عندما كنت طفلا .. وأنت تنظر الى
عندما كنت أتناول الطعام والشراب الذى أحضرته الى
فى المستنقعات .. ولذلك أقسمت مرة أخرى على أن
أجعل منك « جنتلمان » .. وهانذا قد نجحت فى
ذلك ..

وأخذ ينظر بفرح الى السجاجيد الشرقية .. والى
اللوحات الجميلة المعلقة على الحوائط .. والى ملابس
الأنيقة .. والى جوهرة الياقوت فى خاتم أصبعى ..
والى الكتب المرصوفة على الرفوف ..

ولم أنطق بكلمة واحدة .. ربما لأنى كنت عاجزا
عن الكلام .. وواصل الرجل حديثه : لقد حققت بعض
النجاح والشهرة فى « نيو ساوث ويلز باستراليا » ..
رغم أن بعض الناس كانوا يعايرونى بالماضى حين كنت

سجينا .. ولكنى لم أكن أهتم بذلك .. كنت على
يفين بانى امتلك « جنتلمان » عطيما متلك .. اعظم
وارقى من اى واحد فيهم .. وكنت احتمل كل شىء ،
على امل واحد ، هو استطاعتى أن أعود فى يوم ما لكى
اراك وافابلك لاعرفك بنفسى .. !

ووسط كل احساسه بانزهو والفخر وهو يقول
هذا الكلام .. لم يلاحظ الرجل مدى الاحساس بالرهبة
الذى أخذ يعصف بنفسى .. ولا مدى البؤس والسقاء
الذى كان يمزق قلبى وأنا أنصت الى حديثه ..
وأخيرا سألتنى وهو يتتأب : والآن يا بنى العزيز ..
أين يمكننى أن أنام .. بعد أن قمت بتلك الرحلة
الطويلة التى تحيطها المخاطر .. ؟

واستعدت صوتى وقدرتى على الكلام وقلت
مستسلما : يمكنك أن تنام على سرير زميلى الغائب ..
ولكن ماذا تقصد بالضبط بكلمة « مخاطر » ؟ !

فقال بهدوء وبساطة : ان السلطات ستنفذ فى
حكم الاعدام شنقا .. لو اكتشفت أنى قد عدت الى
لندن .. !!



وتبدلت الأحلام في لهيب المدفأة

وعلى الفور أسدلت جميع الستائر ، وأدخلته
الى حجرة « هربرت » وأنا أشفق عليه لمجازفته الجريئة
واستعداده للتضحية بحياته لكى يرانى .. وأشفق
أيضا على نفسى .. لأنى لم أستطع أن أشعر نحوه
بأى قدر من التعاطف ..

وقبل أن أغادر الغرفة سألته : وهل قمت وحدك
بهذه المجازفة أم ساعدك فيها شخص آخر ؟
فقال مندهشا : لا يا بنى العزيز .. لقد قمت بها
وحدى .. !

وهكذا تبددت جميع أحلامى وتصوراتى السابقة
فى حكايتى مع « ستلا » .. وهكذا تبين لى أن خطة
الآنسة « هافيشام » لزواجى من « ستلا » كانت وهما
مفجعا واكذوبة كبرى أقنعت بها نفسى دون أساس ..
وهكذا تيقنت من حقيقة مركزى بالنسبة « لستلا » ..
لم أكن أكثر من مرافق مفيد لها .. تلعب بعواطفى
بقسوة تعلمتها من المرأة العجوز ..

وظلمت أتأمل النار الخابية فى المدفأة ، حتى
ظهر نور الصباح .. وأنا أشعر بمنتهى البؤس وخيبة
الأمل ..



بیب یتظاهر بان خاله یزوره

الفصل الثانى عشر

مساعدة آييل ماجويتش

« آييل ماجويتش » هو اسم السجين الهارب . .
المحسن الذى تبرع لى بكل هذه الأموال . . وكان قد
تعرف على « مستر جاجرز » المحامى حين كان هذا الأخير
يتولى الدفاع عنه فى قضيته . . وقد بذل « مستر
جاجرز » جهده فى الدفاع عنه حتى انقذ عنقه من حبل
المشنقة بشرط واحد هو أن يهاجر من انجلترا الى
الأبد ويعيش فى « نيو ساوث ويلز باستراليا » بقية
حياته .

ولكن عودته الى انجلترا خلقت الكثير من
المشاكل . . وقد رأيت أن أحل هذه المشاكل واحدة
وراء الأخرى . . بادئا بأخطار صاحبة « خان بارنارد »
بأن هذا الرجل هو خالى وقد حل ضيفا على لعدة



ماجويش يصر على اعطاء النقود لبيب

أيام ٠٠ أما بالنسبة لقرب عودة « هربرت » من رحلته ،
فقد كان من اللازم أن أبحث عن سكن آخر مناسب
لاختفاء « ماجويتش » ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، تناول فى افطاره كمية
كبيرة من الطعام باستمتاع واضح ، ثم جلس على
الأريكة وأشعل غليونه بعد أن حشاه بطباق أسود
كريه الرائحة ٠٠ وبعد أن دخن بضعة أنفاس قال
بارتياح : « بيب » ٠٠ لابد أن تشتري لنفسك عربية
وخيولا تجرها ، وأن تستأجر سائقا خاصا يقودها
لك ٠٠

وأخرج من جيوب معطفه حافظة جلدية كبيرة
منتفخة بالنقود ووضعها أمامى على المائدة وهو يقول :
إليك بهذه النقود كلها ٠٠ وهناك نقود كثيرة غيرها ٠٠
ولك أن تنفقها فيما تراه وكيفما تهوى ٠٠ ان قمة
سرورى أن أراك تنفق « أموالك » بالطريقة التى تعجبك
« كجنتلمان » ٠٠

فرفعت يدي معترضا لأسكتة ٠٠ وقلت : ليس
هذا هو ما يجب أن نتحدث فيه الآن ٠٠ ان علينا أولا



جارجز يوكد قصة ماجويتمش

أن ندبر طريقة تجعلك آمنا طوال فترة بقائك هنا ..
ولكن أريد أن أعرف أولا موعد رحيلك .. !

فنظر الى مندهشا وقال : لماذا يا بنى العزيز ..

لقد جئت لأبقى بصفة مستمرة .. سأتنكر وأصبغ
شعري وأضع على عيني نظارة طبية وأرتدى ملابس
أنيقة .. وبهذه الطريقة لن يتعرف على أحد .. !

واقترحت عليه أن يتنكر فى ملابس مزارع من
الريف .. لأن هذا المظهر يناسب لون بشرته التى
لوحتها الشمس .. فوافق ..

ولكن قبل أن أذهب لأشتري هذه الملابس ،
عرجت على مكتب « مستر جاجرز » النبى ما أن رآنى
حتى تبادل النظرات مع كاتبه « مستر وميك » ..
ثم هب واقفا **وحلرنى قائلا** : قل ما تريد بدون ذكر
أسماء .. !

ففهمت ما يقصده .. **وسألته** : حاضر يا « مستر
جاجرز » .. لقد جاءنى زائر من « نيو ساوث ويلز
باستراليا » .. وهو يقول أنه « المحسن » الذى وهبنى
كل هذه النقود .. فهل هذا صحيح .. ؟ !

فاجاب : هذا صحيح بالفعل ..

فقلت يائسا : لقد كنت أظن دائما أن الأنسة « هافيشام » هي التي تحسن الى وترعاني .. وقد شجعتنى أنت على هذا الظن الخاطيء ..

فاعترض « جاجرز » قائلا : لا .. لم أشجعك أبدا على ذلك .. وربما كانت الأنسة « هافيشام » تشجعك على تصور هذه الفكرة الخيالية كنوع من التسلية ترضى بها عقلها المريض ..

الآن فقط تيقنت دون أدنى شك من أن « آبيل ماجويتش » هو نفسه المحسن الذى كان يهبنى المال .. فأسرعت الى البيت ، واستأجرت له سكنا مجاورا لسكنى .. واشتريت له بعض ملابس المزارعين ليتنكر فيها ..

وفى تلك الليلة .. نام على مقعده وهو فى كامل ملابسه الجديدة .. وأخذت أنظر اليه وأنا مضطرب القلب مشتت الذهن .. وخيل الى أن أفضل حل لهذه المشكلة أن أجرى خارجا من الغرفة .. ومن البيت .. ومن لندن .. بل ومن انجلترا كلها ..

ولكن لم يكن أمامي سوى أن انتظر عودة صديقي
« هربرت » من رحلته لنتدبر الأمر سويا وينصحنى
بما أفعل ..

ولكن « ماجويتش » لم يسمح لى بأن أفشى سره
لصديقي « هربرت » قبل أن يراه ويتأكد بنفسه انه
محل ثقة .. وبالفعل فلم تمض نحو خمس دقائق
على حضور « هربرت » حتى أوما لى « ماجويتش »
برأسه موافقا .. ولكنه أحضر نسخة قديمة من الكتاب
المقدس ، وطلب من « هربرت » أن يقسم على ألا يبوح
لأحد بأى من الأسرار التى سوف يسمعها ..

وبعد أن عرف « هربرت » كل شئ .. خرج
« ماجويتش » الى سكنه المجاور .. وبقيت أنا
و « هربرت » .. وظللنا نتحدث الى ما بعد منتصف
الليل .. وشرحت لصديقي كل المشاعر التى تعتمل
فى قلبى ، وكل الأفكار التى تدور فى ذهنى .. الى
أن انتهيت الى اتخاذ قرار حاسم : لن آخذ من
« ماجويتش » مليما واحدا بعد الآن .. حتى بالرغم



هربرت يقسم على حفظ السر

من أنى غارق فى الديور .. وليس فى مثل العيش
منه .. سأرفض نقوده لأنها مملوكة لشخص مجرم ..
فهز « هربرت » رأسه **معترضا وقال** : أنا أفهم
وأقدر حقيقة مشاعرك يا « بيب » .. ولكنك ان فعلت
ذلك فسوف تدمره تدميرا .. لقد عاش حياته كلها
من أجلك .. وجمع أمواله كلها من أجلك .. وانى
أعتقد أنه على استعداد أن يضحي بحياته ويسلم نفسه
للسلطات اذا رفضت أن تشتري العربة والحيول ..
وفرت الدموع من عيني **وقلت منفعلا** : لا
يا « هربرت » .. لن تستمر علاقتى به .. ولن أبقى
نقوده بعد الآن .. كل ما أريده وأتمناه هو أن يرحل
عنى .. !

وهنا قال « هربرت » : اذا كنت لا ترغب فى
تحمل مسئولية القبض عليه واعدامه .. فلا بد أن
تقنعه وتحثه على مغادرة انجلترا ..
قلت يائسا : لن يقبل ذلك ..
فقال « هربرت » : اذن .. فلا بد أن تسافر
معه .. !



ستلا تعلن خطة زواجها

فشعرت بالصدمة عندما فوجئت بهذا الرأي ..
ولكن « هربرت » **واصل حديثه** : نعم .. سافر معه
الى الخارج .. وهناك تتركه فى أى بلد آمن .. وتعود
الى انجلترا .. وسأدبر لك وظيفة لتعمل معى فى
شركة « كلاريكار » ..

ورأيت أن هذا هو الحل الأمثل ..

وبينما كنت أدبر هذه الترتيبات كلها ، وصلتني
دعوة من « ستلا » للحضور اليها .. **وقالت بمنتهى
البرود** : أنا فى طريقى الى الزواج فى أقرب فرصة ..
وانى أحذرك .. وانت تعرف ما أقصده .. !

وعندما عرفت أن عريسها هو « بنتلى درامل » ..
العنكبوت الكريه الذى يثير اشمئزازى .. اعترضت
على هذا الاختيار بكل قوة ..

ولكن « ستلا » هزت كتفيها باستخفاف **وقالت دون
أدنى تقدير لاعتراضى** : انها صفقة جيدة .. فهو غنى
واسع الثراء .. وأنا قررت أن أتزوجه .. !



بیب یتجول یائسا

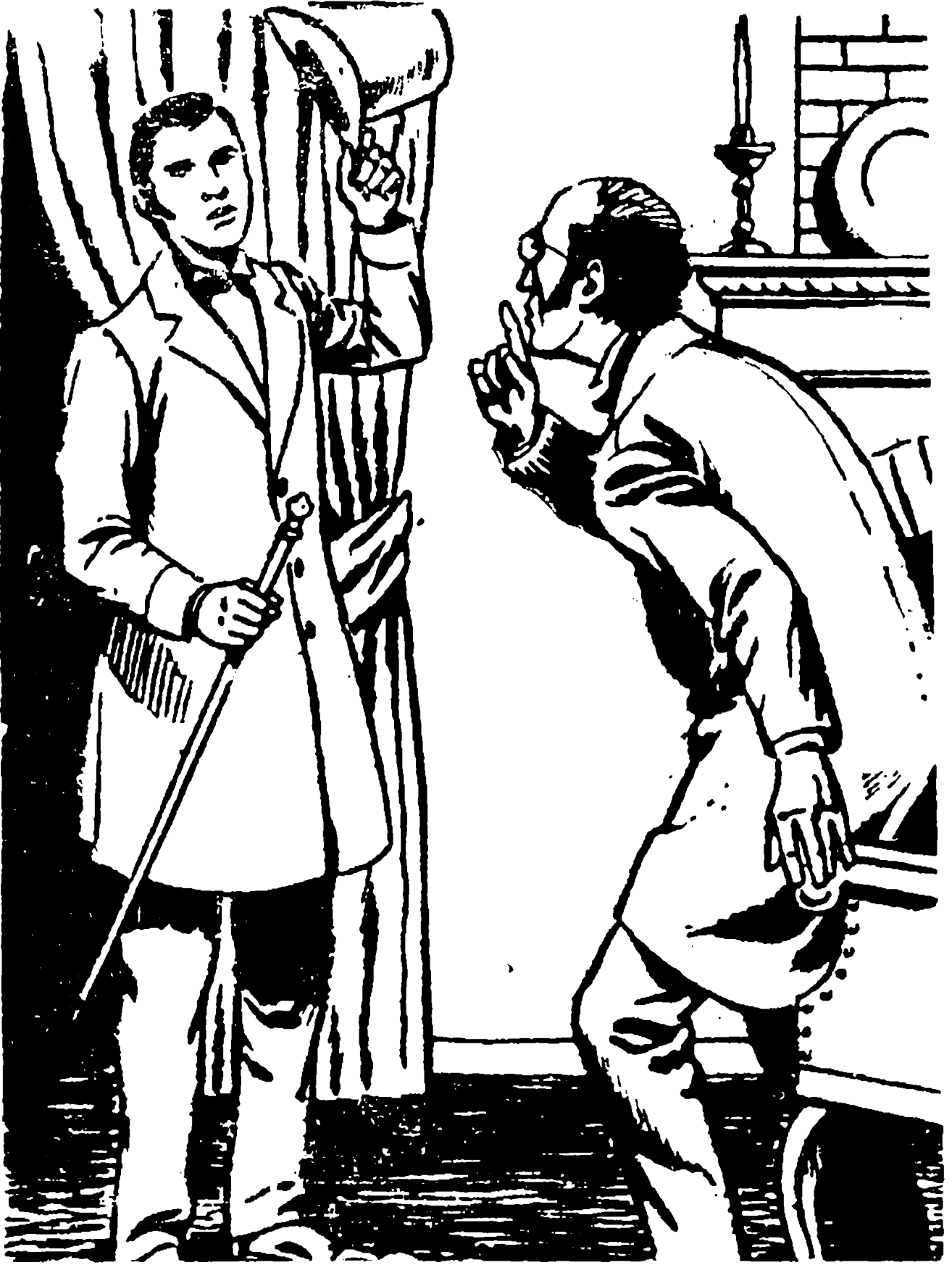
الفصل الثالث عشر

القاتلة ٠٠!

.

بعد أن انتهى هذا الحديث المؤلم مع « ستلا » ..
أخذت أتجول بلا هدف في شوارع لندن .. شقيا
تعيسا يمزق اليأس قلبي ..

وبالرغم من أن حالتي المالية لم تُعد تسمح لي
بمواصلة التفكير في احتمال زواجي من « ستلا » ..
الا أن احساسى بالمرارة قد فاق كل احتمال لأن
اختيارها قد وقع على « درامل » ذلك العنكبوت الكريه
بالذات .. وحتى عندما قالت لي « ستلا » وهي تبسم
لي ابتسامتها الساخرة : « اياك أن تظن أنني سأجعل
منه زوجا سعيدا : ! » فان هذا القول لم يسعدني
أو يواسيني ..



وميك لديه أخبار هامة

وعدت الى بيتى فى وقت متأخر .. وما أن فتحت الباب .. حتى فوجئت بشخص غريب يهب واقفا من المقعد المجاور للمدفأة .. كان يبدو كما لو كان قد أعياق من اغفائه النوم .. وفى لحظة ، تبينت أنه « مستر وميك » الذى سرعان ما وضع اصبعه أمام شفثيه طالبا منى أن ألزم الصمت .. وأشار الى أن أقترب منه ..

قال هامسا : معذرة يا « مستر بيب » لهذه المفاجأة لقد أعطانى « مستر هربرت » المفتاح لانتظرك هنا .. لأقول لك بعض الأخبار الهامة .. ولكن بدون ذكر أسماء .. كما تعرف !

أسرعت نبضات قلبى ، **وسألت هامسا :** هل حدث مكروه .. ؟!

فقال « وميك » : نعم .. و .. لا .. !

فخلعت قبعتى ومعطفى على الفور ، وجلست بجوار « وميك » الذى بدأ حديثه بصوت خفيض : لعلك لاحظت أن « مستر جاجرز » المحامى له زبائن وعملاء



بيب يعلن خوفه على ماجويشش

من مختلف أنواع الناس .. ولكن أغلبهم ليسوا من الطبقات الرفيعة .. وبطبيعة الحال ، فإن شخصا مثله تأتية أخبار لا أستطيع أنا أو أنت الحصول عليها .. لأن أغلبها يدور في المجتمعات الوضيعة أو يتردد بين أصدقائه من المجرمين ..

أوشكت أن أعترض على هذا التعليق .. ولكنى آثرت الصمت لاستمع الى بقية الحديث .. وواصل « وميك » كلامه : واحد من هؤلاء الناس الذين يترددون على المجتمعات الوضيعة ، سمع اشاعة معينة قام بابلاغها الى « مستر جاجرز » .. اشاعة ينشرها شخص اسمه « كومبايسون » .. مفادها أن فى لندن الآن زائرا جاء من « نيو ساوث ويلز » .. ومن المتوقع أن يصل هذا الخبر الى السلطات فى أية لحظة ..

شحب لون وجهى على الفور ، وشعرت بقشعريرة لبرد رغم قربى من نار المدفأة .. وقلت **وانا اكاد ابكى:** لا يمكن .. لا يمكن أن يقبض عليه .. لا بد من عمل أى شئ .. !



وميك يحذر بيب

وقال « وميك » : هذا صحيح .. لذلك فقد اتفقنا

- أنا و « مستر جاجرز » - على أن أقوم أنا و « مستر هربرت » بنقل هذا الزائر من سكنه المحاور ، الى سكن آخر فى بيت يطل على النهر .. وقد تصور « مستر جاجرز » انك ربما تكون موضوعا تحت المراقبة .. أو أن شخصا ما قد يتتبع خطواتك حتى يمكنهم التعرف على مكان هذا الزائر .. ولذلك فقد تم نقل الزائر فى غيبتك .. وهذا أفضل .. ولكن .. لا بد من اتخاذ بعض الترتيبات الأخرى ..

فقلت : أعرف ذلك .. لا بد من نقله الى خارج لندن .. لقد فكرت فى ذلك .. بل وسأسافر معه الى الخارج اذا لم يقبل أن يسافر وحده ..

وقال « وميك » : عظيم .. ولكن هذه الترتيبات لا بد أن تتم بأقصى سرعة ممكنة .. ولا بد أيضا من وضع الخطط المحكّمة لكى يتم التنفيذ بدقة وفى أمان .. ان « مستر جاجرز » يصر على ذلك .. وسيظل على اتصال بك للتنفيذ فى الوقت المناسب .. وهناك شئ آخر على درجة كبيرة من الأهمية .. يجب ألا تذكّر

اسم « كومبايسون » أمام الزائر بأى شكل من الأشكال .. لأن الزائر لو عرف أن « كومبايسون » هذا موجود هنا فى لندن ، فسوف يتعقبه ولن يتركه الا بعد أن يقتله .. !

وبعد انصراف « وميك » .. جلست أمام المدفأة .. أتأمل شعلات اللهب .. وأتخيل الكيفية التى يجب أن يتم بها تهريب « ماجويتش » الى الخارج .. واحتللت فى ذهنى الأفكار والخطط ..

وقطع حبل أفكارى وصول « هربرت » الذى حلتوا من عند حبيبته « كلارا » التى تعيش مع أبينا المريض المتقاعد فى بيت يطل على النهر .. حيث يجلس الأب العجوز أمام النافذة لينفرج على السفن القادمة والسفن المغادرة ..

وهنا طرأت فى ذهنى فكرة توهجت مثل البرق . فقلت « لهربرت » : هذا هو البيت المناسب .. منه نستطيع أن نركب قارباً يوصلنى أنا و « ماجويتش » لأية سفينة مسافرة الى الخارج .. وهناك بعض قباطنة السفن على استعداد لعمل أى شئ مقابل

الحصول على نقود .. ودون أن يسألوا أى سؤال ..
وتحمس « هربرت » لفكرتى على الفور ، وأضاف
اليها فكرة جديدة **فقال** : اذن .. يجب أن تشتري
قاربا نضعه قرب البيت .. ويجب أن نقوم - أنا وانت
- بالتجديف لنتجول فى النهر كل يوم حتى يعتاد
الناس على رؤيتنا فى هذا القارب .. الى أن يجرى
اليوم المحدد للهرب .. فنركب القارب كالمعتاد ..
وتتم العملية دون أن نلفت نظر أحد ..

وفى اليوم التالى اشتريت قاربا وبدأنا التمرن على
التجديف بطريقة صحيحة .. وفى البداية لم نستطع
أن نواصل التجديف الى وقت طويل فقد كانت عضلاتنا
فى حاجة الى التلين حتى تعتاد عملية جذب المجداف ..
وأعدت مع « هربرت » حافظة النقود التى تركها
« ماجويتش » فى بيتى ، وطلبت منه تسليمها اليه ..
ثم قررت بعد ذلك أن أزور « ماجويتش » فى مقره
الجديد .. فسلكت طرقا جانبية كثيرة لتضليل أى
شخص يتعقبنى ..

وعندما وصلت الى البيت .. رأيت « كلارا برلى »



• بیب یشتری قاربا

لأول مرة .. كانت فتاة حلوة ذات وجه مستدير جميل
التقاطيع .. وهنأت « هربرت » على حسن اختياره ..
فاحس بسعادة غامرة وهو يسمع ثنائى على حبيبته
« كلارا » ..

أما « ماجويتش » فلم يتقبل بسهولة فكرة نقله من
مسكنه السابق واسكانه فى هذا البيت الذى يطل على
النهر .. وكذلك فقد أقنعتة بصعوبة بأن الوقت الآن
غير مناسب لشراء العربى والخيول حتى لا تلفت أنظار
الناس .. ولكنه اعترض بشدة على فكرة تهريبه الى
خارج لندن .. الى أن أفهمته بأنى سأكون فى صحبته
فى تلك الرحلة .. وعندهئذ فقط استسلم ووافق على
كل شئ ..

وطوال وقت الزيارة ، كان « ماجويتش » يمسك
يدى بكلتا يديه وبحنان بالغ .. ولم يتركها الا بعد
انتهاء الزيارة وتأهبى للانصراف .. وبطبيعة الحال،
لم أعبر له عن نيتى فى تركه فى أى مكان آمن خارج
انجلترا .. والعودة بعد ذلك وحدى .. !



بیب یببع بعض جواهره

وساءت حالتى المالية الى أقصى حد .. فاضطرت
عندئذ الى بيع بعض مجوهراتى .. ومع ذلك فان ثمن
البيع لم يكن كافيا للوفاء بجميع التزاماتى .. ولذلك
فقد قررت أن أتخذ خطوة جريئة ، وان كنت لا آمل
كثيرا فى نجاحها .. قررت اللجوء الى الأنسة
« هافيشام » لاقتناعها بدفع الحصة المتبقية المنصوص
عليها فى العقد الذى أبرمته مع « كلاريكار » لصالح
« هربرت » ..

وقبل أن أذهب الى محطة عربات السفر .. عرجت
الى مكتب « مستر جاجرز » لأطلعته على تلك الخطة
التي دبرتها لتهريب « ماجويتش » فوافق عليها
ولكنه أضاف : لا تكن قلقا الى هذا الحد .. اطمئن ..
فان خير مكان للاختباء .. هو مدينة كبيرة واسعة مثل
لندن ..

وما أن أوشك حديثى مع « مستر جاجرز » على
الانتهاء ، حتى دخلت الخادمة « موللى » وهى تحمل
صينية عليها غداء ساخن .. ووضعتها على مائدة
صغيرة .. وقد لاحظت أن « موللى » كانت منخفض
رأسها وتنظر دائما الى الأرض ..



بيب يلاحظ الشبه الشديد

ولكن عندما نهضت من مقعدى متأهبا للانصراف ..
اصطدمت يدي بحافة الصينية فاهتزت، وسالت بعض
الشوربة على مفرش المائدة .. فرفعت « مولى » رأسها
ونظرت الى بغضب .. ورغم أن تلك النظرة لم تستمر
أكثر من ثانية واحدة .. الا أنى قد صعقت .. فقد
كان هناك شبه تام بين نظرات عينيها الغاضبة ،
ونظرات عيني « ستلا » حين تغضب .. نفس الأنف
.. نفس الخدين .. كل ملامحها مطابقة تماما للامح
« ستلا » .. !!

وقبل انصرافى من مكتب « مستر جاجرز » قابلت
« مستر وميك » فى المكتب الخارجى .. وانتحيت به
جانبا وسألته : من هى « مولى » .. ؟!

فقال هامسا : قاتلة .. انها قاتلة .. كان
« مستر جاجرز » يتولى الدفاع عنها وحصل لها على
حكم بالبراءة .. كانت غيرتها على زوجها هى السبب
فى الجريمة التى ارتكبتها .. وقيل أيضا أنها قتلت
طفلها .. !



مولیٰ تھنق منافستھا

الفصل الرابع عشر

النار ٠٠!

وبينما كانت عربة السفر تقطع الطريق الى بيت
الآنسة « هافيشام » ٠٠ كنت أفكر بعمق فى القصة
التي ائتمنى عليها « وميك » ٠ فالخادمة « موللى »
ننتمى من بعيد الى أصل « غجرى » ٠٠ لذلك تجرى فى
عروقها بعض الدماء الحارة ٠٠ وعندما تصورت أن
زوجها يخونها مع امرأة أخرى ٠٠ خنقت تلك المرأة على
الفور ٠٠ ويقال انها لكى تنتقم من زوجها فانها قامت
بقتل ابنتها منه ٠٠

ولكن هذا غير صحيح ٠٠ فمازالت ابنتها تعيش



الآنسة هافيشام تكتب الرسالة

حياة .. انها « ستلا » بنفسها .. ان الشبه تام بين
عينيهما وعيني ابنتها .. « مولى » اذن هى أم « ستلا »
لا شك فى ذلك .. ومن المحتمل انها وضعت نفسها
فى خدمة « مستر جاجرز » طوال هذا الزمن لأنه
أنقذ ابنتها من الفقر والضياع !

وعندما قابلت الأنسة « هافيشام » لاحظت انها
أصبحت أكثر عجزا وضعفا من ذى قبل .. ومع ذلك
فقد أنصتت بهدوء وأنا أشرح لها المساعدة التى قدمتها
سرا لمعاونة « هربرت » على شق طريقه فى الحياة
.. وسوء حالتى المالية التى لا تسمح لى الآن بتسديد
الحصة المتبقية والتى حل موعدها طبقا للعقد ..
وأخبرتها بأنى فى حاجة الى تسعمائة جنيه حتى
أستطيع الوفاء بهذا الالتزام ..

ظلت الأنسة « هافيشام » تنظر فى نار المدفأة وهى
تستمع الى هذا الطلب .. ثم قالت بصوت حالم وكأنه
يأتى من بعيد : ان « هربرت » يستحق العون ..
ان أباه « ماثيو بوكيت » قدم الى فى يوم ما نصيحة

غالية .. ولكنى للأسف لم آخذ بها .. ففقدت سعادنى
وعشت حياة تعسة شقية .. ليتنى استمعت الى تلك
النصيحة الغالية .. !

ثم استدارت نحوى **وقالت بحة** : اذا أعطيتك هذه
النقود .. فهل تعدنى بأن يظل هذا السر خاميا على
كل من « هربرت » وأبيه .. ؟!

فوافقت ، وأعطيتها وعدا بذلك ، فكتبت خطابا الى
« مستر جاجرز » ليعطينى هذه النقود من حسابها ..
فأخذت الخطاب وشكرتها على كل شئ ..

وعندما هممت بالانصراف .. نادتنى بصوت
مرتعش : « بيب » .. هل ترى كم أنا وحيدة الآن .
هل ترى كيف هجرتنى « ستلا » .. ؟!

فأجبت بهدوء : كان لا يمكن أن ينتهى الأمر بغير
هذه الطريقة .. !

وكنت قد امتنعت عن قراءة الصحف فى الفترة
الماضية ، حتى لا أصدم بقراءة أى خبر عن موعد زفاف

« ستلا » ٠٠ ومع ذلك فقد سألت الأنسة « هافيشام »
مترددا : هل تم الزواج ٠٠ ؟!

فأومأت برأسها وقالت بحسرة : نعم ٠٠ !

وفي الحال تبدى الألم فى ملامح وجهى ٠٠
وأحسست بأن قلبى يتمزق فى صدرى ٠٠ ومع ذلك ،
فقد لاحظت أن الأنسة « هافيشام » أخذت تلهث
وتتنهد ٠٠ وسقطت عصاها من يدها ٠٠ وقالت بصوت
يرتعش ألى : أرى فى وجهك الآن يا « بيب » ٠٠ نفس
مشاعر الألم التى تبدت فى ملامح وجهى منذ سنين
طويلة ٠٠ فى الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ٠٠ !

وخبأت وجهى بين يدى ٠٠ حتى أستعيد رباطة
جأشى ٠٠ وظلت الأنسة « هافيشام » تنوح وتبكي
بحرقة ٠٠ وتهز رأسها بحركة دائبة بمنة ويسرة ٠٠
وتقول والندم يعصر قلبها : ما هذا الذى فعلت
ما هذا الذى فعلت ٠٠ ؟!

وأوشكت أن أقول لها أنها خربت حياتى وحظمتنى



انکسر قلبی بسبب زواج ستلا

.. ولكنى امتنعت لأن ذلك لا يعدو أن يكون نصف الحقيقة .. أما النصف الآخر فيتمثل فى الأخطاء الجسيمة التى ارتكبتها بنفسى .. وفى الأحلام الغبية التى كانت تدور فى خيالى .. وفى الطموحات السخيفة التى كنت أتطلع اليها .. وفى الآمال العديدة الحمقاء التى كنت أسميها الآمال الكبرى ..

ولكنها مدت الى يديها المرتعشتين .. وقالت متوسلة والدموع تطفر من عينيها : سامحنى يا « بيب » .. أرجوك .. سامحنى !

وأمسكت بيديها وقلت : لقد سامحتك وغفرت لك !

فقالت وهى تضغط على يدى راضية :

لم أكن أضمر شرا منذ البداية .. كنت أريد فقط أن أهيب « لستلا » مستقبلا لا تعانى فيه ما عانيت .. ولكنها كلما كانت تكبر كانت تزداد جمالا .. وكنت أثنى على جمالها باستمرار .. وأعطيها المجوهرات لتزين بها وتزداد تألقا .. وكنت أحذرهما دائما من الوقوع فى الحب .. حتى أصبح قلبها جامدا كالثلج .. !



سامخنی یا پیپ ... سامخنی ... !

وسحبت مقعدا وجلست جوارها .. وسألتها بهدوء :
من هي « ستلا » فى الحقيقة .. ابنة من هي ؟
فهزت رأسها وقالت : لا أدرى .. كانت مجرد فكرة
عابرة طرأت فى ذهنى يوما ما .. قامت لنفسى لماذا
لا أتبنى طفلة صغيرة لأمنحها حبنى وأهيمىء لها مستقبلا
لا تلقى فيه مثل مصيرى .. وطلبت من «مستر جاجرز»
أن يبحث لى عن طفلة ، فوعدنى بأن يحضر الى طفلة
يتيمة .. وفى يوم ما جاء ومعه الطفلة التى وعد بها ..
كانت صغيرة لا تتجاوز العامين .. فتبنيته ..
وأطلقت عليها اسم « ستلا » ..
ثم سككت طويلا .. وأغمضت عينيها وغلبها
النعاس .. ودخلت فى اغفاءة نوم خفيفة .. وهى
جالسة على مقعدها أمام المدفأة .. فسحبت نفسى
بهدوء وخرجت من الحجرة .. وهبطت درجات السلم
.. وتجولت قليلا عبر الممرات والردهات والحجرات
.. لاحساسى بأنى أشاهد هذا البيت لآخر مرة فى
حياتى ..
وفجأة .. دوت فى أذنى صرخة ملتاعة عالية ..



النار مشتعلة بثوب زفافها

فجريت نحو مصدرها .. وصعدت درجات السلم
بسرعة .. فرأيت حريقا قد نشب نى حجرة الآنسة
« هافيشام » التى اندفعت نحوى ، والنار ممسكة
بطرحتها وثياب زفافها .. فخلعت معطفى على الفور
ولففته حولها لأطفىء النار المشتعلة بجسدها والتى
بدأت فى الامساك بشعر رأسها .. وكانت تردد فى
لوعة **وأسى** : قل لها لقد سامحتها .. أخبرها بأنى
قد غفرت لها .. !

وجاء الخدم وأخمدوا الحريق .. وأرسلوا فى طلب
الطبيب الذى جاء عاجلا .. وفحص الآنسة «هافيشام»
فوجدتها مازالت حية ولكنها فاقدة وعيها ..

وبعد أن أسعفنى الطبيب وضمد الحروق الشديدة
التى لحقت بىدى .. سمح لى بالانصراف ، وطلب
منى أن أواصل العناية بتلك الجروح حتى تلتئم ..
وفى اليوم التالى ، عدت الى لندن ..



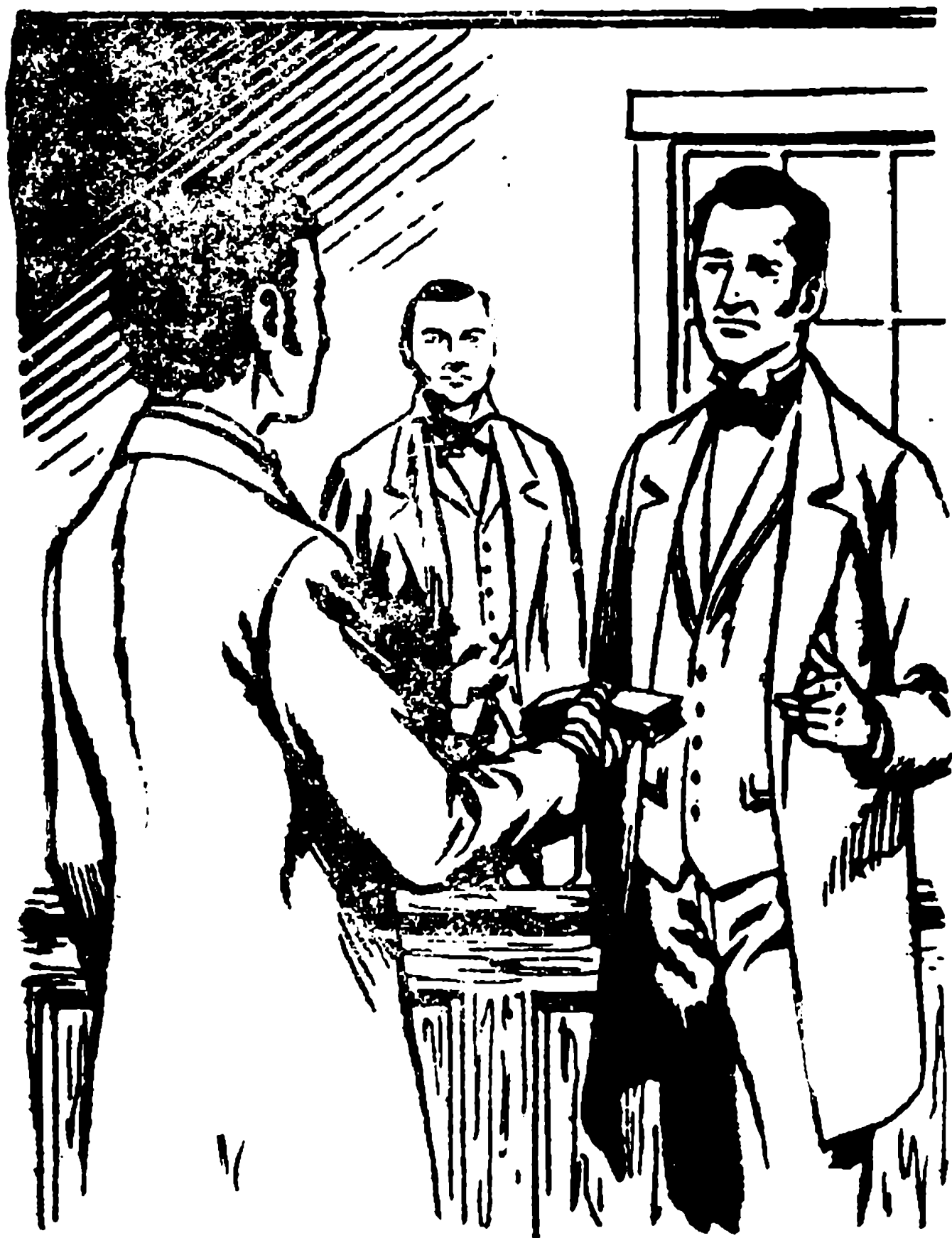
هربرت يربط جروح بيب

الفصل الخامس عشر

أسرار من الماضي ..

كنت مازلت أعانى الصدمة الشديدة بعد أن وصلت الى بيتى فى لندن .. وقام « هربرت » على الفور بإعادة ربط جروحي بأربطة نظيفة .. وكنت قادرا على تحريك أصابع يدي اليمنى رغم الأربطة ، أما يدي اليسرى فقد كانت أصابتها بالغة ، لذلك فقد أمر الطبيب بأن تربط بعناية وأعلقها على صدري برباط يتدلى من عنقي ..

بالرغم من كل آلامى .. فقد كان على ان أقوم ببعض المهمات العاجلة .. ولكنى أصبت بالحمى وارتفعت



يب يدفع الحصة المتبقية ..

درجة حرارتي .. ولذلك فقد أصر « هربرت » أن يقوم ببعض هذه المهام نيابة عني .. فقام بإبلاغ والده وبقيه اقارب الانسة « هافيشام » بما حدث لها .. كما كتب رساله الى « ستلا » التي كانت آنثذ في باريس ، ليبلغها بالحدث .. وذلك بعد أن عرف عنوانها عن طريق « مستر جاجرز » ..

وكانت هناك مهام أخرى لا بد أن أقوم بها بنفسى .. لذلك فما أن استعدت بعض قواى حتى ذهبت الى مقابلة « مستر جاجرز » ، وأطلعته على الرسالة التي حررتها الانسة « هافيشام » .. فحرر على الفور شيكا بمبلغ تسعمائة جنيه لصالح « كلاريكار » .. وأمر باستدعاء « مستر كلاريكار » لمقابلتى فى مكتبه ..

وبعد أن حضر واستلم منى الحصة المتبقية من العقد الذى أبرمته معه .. وعدنى « مستر كلاريكار » بأن « هربرت » سيصبح على الفور شريكا كاملا بالشركة .. **ولكنه قال مشروطا :** ان على « هربرت » أن يسافر الى الشرق ، لينشئ ويدير أهم فروعنا الخارجية .. لأن أعمالنا الملاحية قد ازدهرت واتسع نطاقها ..

وبعد انصراف « كلاريكار » انحنى بي « مستر جاجرز » جانبا ، وقال هامسا : بدون ذكر أسماء ..
لقد حان الوقت الآن للزائر القادم من « نيو ساوث ويلز » لكي يغادر لندن ويرحل بعيدا ، لان السلطات أوشكت ان تعرف مكانه ..

وما أن وصلت الى البيت ، حتى أبلغت « هربرت » بما قاله « مستر جاجرز » .. ونظرنا نحن الاثنان الى الاربطة الملفوفة حول يدي .. وشعرنا باليأس .. فأنا لا أستطيع الآن أن أمسك بمجداف القارب أو استخدمه .

ولكن « هربرت » قال وهو يقترح حلا للمشكلة:
علينا أن نطلب المعونة من « ستارتوب » .. !
وكان « ستارتوب » هو ثالث الطلاب الذين كانوا يتعلمون لدى والد « هربرت » .. هو .. وأنا .. والعنكبوت الكريه « درامل » .. ولكن « ستارتوب » كان صديقا أميناً يمكن الاعتماد عليه والثقة فيه ..
وقد وافق على ما طلبناه منه بلا تردد .

وبحذر شديد .. وبعد التأكد من أن أحدا

لا يتتبعنا ٠٠ قمنا بزيارة « ماجويتش » لآخباره بأن
خطة الهروب أصبحت على وشك التنفيذ ٠٠ وأن عليه
أن يستعد ٠٠ وقد صدم « ماجويتش » حين رأى
الأربطة حول يدي ٠٠ وأخذ يهتم بجروحي وآلامي أكثر
من اهتمامه بأية تفاصيل تتعلق بخطة الهروب ٠٠٠
وقال لي مواسيا : آه يا بني العزيز ٠٠ انى لا أهتم
الا بمصلحتك وحدها ٠٠ أنت أعز عندي من ابن حقيقى
خرج من صلبى ٠٠ بل أعز من ابنتى التى فقدتها حين
كانت طفلة ٠٠

فقاطعته على الفور : ولكنك لم تحدثنى من قبل
بأنك قد أنجبت طفلة ٠٠ أين هى الآن ٠٠ ؟!
تنهد بعمق واسترخى على مقعده **وقال : انها**
قصة رهيبه ٠٠ ولكن ما دمت أنت و « هربرت »
تريدان أن تعرفا كل شئ عنى ٠٠ فلا بأس أن أحكيها
لكما ٠٠ ولكن اسمحاً لى أولاً بأن أشعل غليونى !
وعبا غليونه بالطباق الأسود الكريه الرائحة
الذى كان يفضلها **وبدا يحكى : ٠٠٠ لقد نشأت دون**
أن أعرف لنفسى أبوين ٠٠ كنت أعرف فقط انى عشت



ماجويٽش يفرع لاصابة بيب

أغلب حيائى فى السجون .. كما أن أخرج منها حتى
أعود اليها .. وفى وقت ما منذ زمن بعيد .. تزوجت
من فتاة غجرية .. صغيرة .. فى الحقيقة كانت نصف
غجرية .. وأنجبت طفلة صغيرة .. ولكن زوجتى
هذه كانت حادة الطباع .. فخنقت احدى النساء بعد
أن تأكدت من انى كنت معجبا بها .. !

وتوقف برهة عن الكلام .. وبدأ كما لو كان
يسخيل هاتين المرأتين اللتين كانتا تتنافسان على حبه
منذ سنوات طويلة .. ثم استعاد ذهنه **وواصل**
حديثه : لقد غضبت منى زوجتى أشد الغضب ...
وهددتنى بأنها سوف تقتل طفلتنا انتقاما منى .. ثم
اختفت هى والطفلة قبل أن أفعل أى شئ .. وعلمت
فيما بعد بالقبض عليها وتقديمها الى المحاكمة بتهمة
قتل المرأة التى نافستها فى حبنى .. وكان « مستر
جارجز » هو المحامى الذى دافع عنها حتى حصل لها
على حكم البراءة .. وكانت هذه هى المرة الأولى التى
أسمع فيها اسمه .. يا له من محام بارع هذا الرجل
.. وكان على أن أخفى حتى لا أضطر الى الشهادة



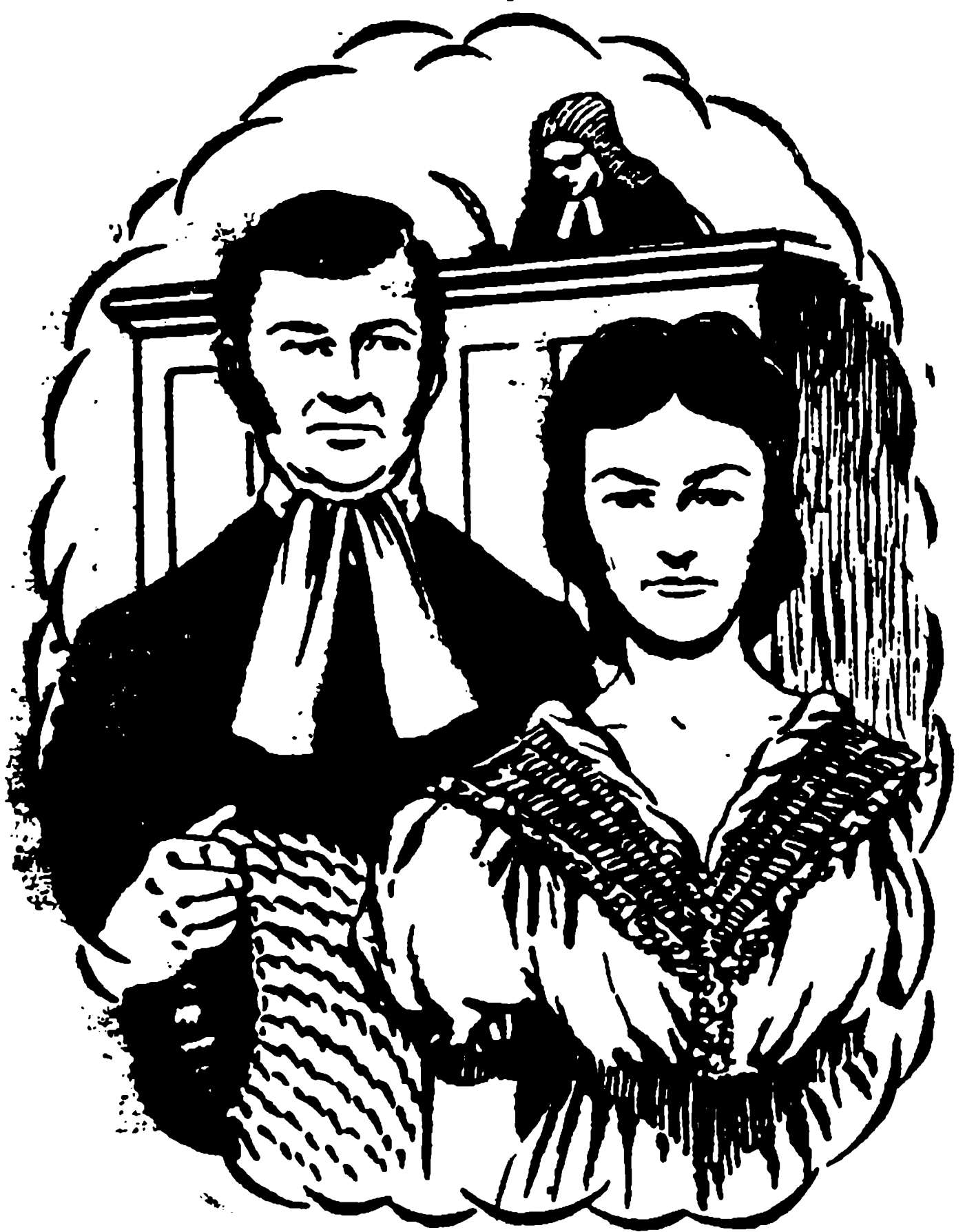
وهمدته بقتل الطفلة

بأن زوجتى قد قتلت أيضا طفلتنا الصغيرة ٠٠٠ وهى
شهادة كان يستحيل معها أن يحصل «مستر جارجرز»
على حكم البراءة ٠٠ والآن يا «بيب» ٠٠ هل عرفت
لماذا اعتبرك الابن الوحيد لى ٠٠ ؟!

ولحسن الحظ فان جروحي كانت قد جعلت وجهى
شاحبا لدرجة لم يظهر معها أثر الشحوب الجديد
الذى نجم من سماعى هذه القصة الرهيبة التى زلزلت
أعماقى ٠٠ وجعلتنى غير قادر على النطق بكلمة
واحدة ٠٠

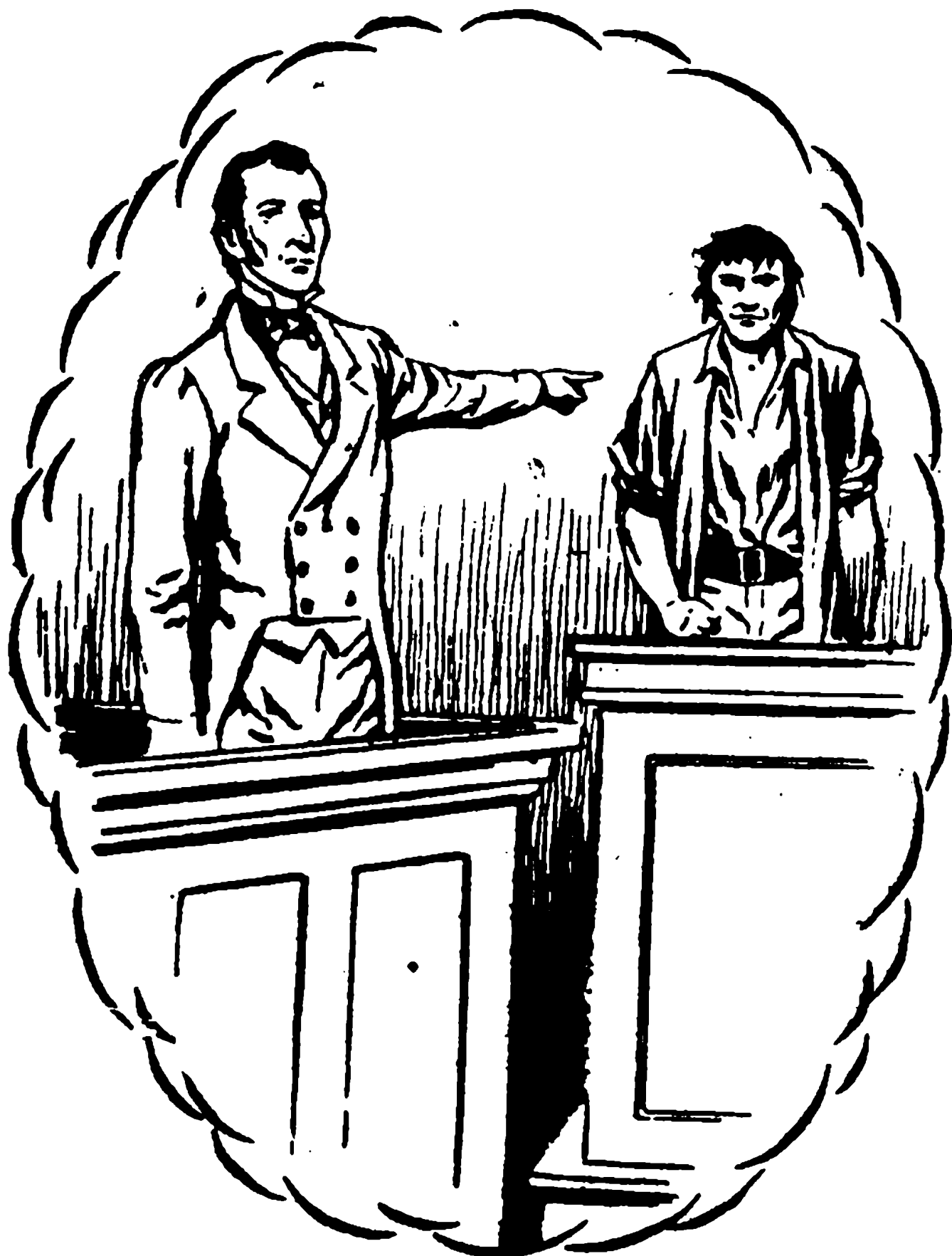
وأعاد «ماجويتش» اشعال غليونه من جديد
٠٠ وقال مواصلاً حديثه : ومع ذلك ٠٠ وبعد كل هذه
السنين فما عدت أحمل كراهية تجاه زوجتى أو أى
شخص آخر ٠٠ ولكنى أكره من صميم قلبى شخصا
واحدا فقط ٠٠ هو نفس الشخص الذى رأيتنى يابنى
وأنا أضربه فى حفرة الطين بمستنقعات «كنت» ٠٠٠
حين رأيتنى يا بنى العزيز لأول مرة .

قال ذلك وهو يضغط على ركبتى ليذكرنى بهذا



• جاجرز یحصل علی حکم بیراءتھا •

الموقف .. فاضطرت للابتسام موافقا .. رغم أن
رأسي أوشكت أن تنفجر بما يدور فيها من أفكار ..
وواصل « ماجويتش » حديثه : لقد استغلني هذا
الرجل أسوأ استغلال .. كان يتظاهر بأنه « جنتلمان »
.. وكان يضع خطط الجرائم ويطلب مني تنفيذها ..
وبهذه الطريقة يظل هو آمنا .. بينما أواجه أنا المخاطر
والنتائج وحدي .. ثم استولى هذا الرجل على معظم
الأموال التي حصلنا عليها من جرائمنا .. وادعى انه
هو الذى خطط بعقله للحصول على تلك الأموال ...
وانه صاحب الفضل الأول فى ذلك .. أما جرأتى أو
قوة عضلاتى فلا أهمية لها .. ويمكنه أن يستخدم
أى شخص آخر بدلا منى .. وعندما قبض علينا
معا ، شهد ضدى فى المحاكمة .. بل وقال أنى كنت
أحرضه على ارتكاب الجرائم .. وقد صدقته المحكمة
عندما قارنت بين مظهرى الاجرامى الرث ، ومظهره
النظيف المتأنق .. ولهذا السبب حكموا بسجنى ..
وأطلقوا سراحه .. فأقسمت أن أنتقم منه .. وعندما
خرجت من السجن سألت وبحثت عنه فى كل مكان
.. وأخبرتني زوجته انه متفرغ لخداع احدى النساء



کومبایسون یشهد ضد ماجویتش

الثريات فى منطقة « كنت » .. فذهبت الى هناك
فورا لاتعقبه .. ولعلك تذكر يا « بيب » انه كان
فى امكانى أن أستعيد حرىتى بعد أن كسرت قىدى
الحديدى مستعينا بالمبرد الذى أحضرته لى .. ولكنى
أمسكت به فى المستنقعات .. حتى لا أمكنه من الهرب
وأعيده الى السجن مرة أخرى .. انى لا أكره أحدا
فى الدنيا قدر كراهيتى لهذا الرجل الذى يسمى
« كومبايسون » .. !

وما أن سمع « هربرت » اسم « كومبايسون »
حتى انتفض مندهشا .. ولكنه لزم الصمت ولم يتكلم
.. وبعد أن انتهت زيارتنا « ماجويتش » وخرجنا
الى الشارع حتى بدأنا - أنا و « هربرت » - فى الكلام
فى وقت واحد .. ولكن لأن صوتى كلن أعلى من صوته
فقد بدأت الكلام قبله .. وأبلغته بالمعلومات التى
حصلت عليها من « وميك » بخصوص قصة الخادمة
« موللى » .. وربطت بينها وبين القصة التى حكاها
لنا « ماجويتش » .. **وقلت فى النهاية :** اذن ...
فان « ماجويتش » هو بعينه والد « ستلا » ! ...



بہد و ہربرت یتبادلان الحدیث

ولكن ما هي الفائدة من اعلان ذلك ٠٠ !!٩

فوافقنى « هربرت » على هذا الاستنتاج ٠٠٠
وأقسمنا معا على أن نحتفظ بهذا السر لأنفسنا ولا نخبر
به أحدا ٠٠ ثم قال « هربرت » : ولكن هذا الرجل
الذى يسمى « كومبايسون » .

فقاطعته على الفور : انه هنا فى لندن ٠٠ ولكن
لا بد من اخفاء هذا الأمر عن « ماجويتش » ٠٠ وهذا
هو السبب فى انى لم أشر اليك من قبل باسم
« كومبايسون » بعد أن عرفتة عن طريق « مستر
وميك » .

وقال « هربرت » فى النهاية : كنت أريد أن أقول
لك ٠٠ أن « كومبايسون » هذا ٠٠ هو نفس الشخص
الذى أحبته الآنسة « هافيشام » وكان سببا فى
مأساتها .

TEAMSHIP CO. OF ENGLAND



البحث عن سفينة اجنبية

الفصل السادس عشر

التجديف الى الحرية ..

قررنا تنفيذ خطة الهرب يوم الأربعاء ٠٠ وفى يومى الاثنين والثلاثاء ٠٠ ذهبت مع « هربرت » الى بعض الشركات الملاحية لمعرفة جداول ابحار السفن الأجنبية المتوجهة الى الخارج يوم تنفيذ الخطة ٠٠ واتفقنا مع سفينة مسافرة الى « هامبورج بالمانيا » ٠٠ وشاهدنا تلك السفينة وهى راسية على الرصيف حتى نحفظ شكلها ونتعرف عليها بسهولة عند تنفيذ الخطة ٠٠

وتتلخص الخطة التى رسمناها فى قيامنا بالتجديف حتى نصل بقاربنا الى بيت « كلارا » ٠٠٠ وهناك ينتظرنا « ماجويتش » ٠٠ وبمجرد أن يرانا قادمين نحوه ، فعليه أن يهبط فوراً عبر الدرجات الحجرية المبنية على الشاطئ حتى يصل الى قاربنا ويركب معنا ٠٠ وعندئذ نواصل التجديف حتى نصل

الى مكان مناسب لانتظار الباخرة المتجهة الى «هامبورج»
لتلتقطنى أنا و «ماجويتش» الى ظهرها .
وقد وضعنا الخطة على أن يقوم كل من «هربرت»
و «ستارتوب» بالتجديف ، وأن أمسك أنا بدفة
القارب . . وبطبيعة الحال فاننا لم نخبر «ستارتوب»
بكل أبعاد القصة . . وانما أخبرناه فقط بأننا نريد
أن نشركه معنا فى أحد أسرارنا البسيطة ، التى وجدنا
أنفسنا مضطرين للاشتراك فيها .

وبينما كنت أنهى اجراءات جوازات السفر
بمكتب «مستر جاجرز» ، تولى «هربرت» ابلاغ كل
من «ستارتوب» و «ماجويتش» بالاستعداد . . وفى
حقيقة الأمر كنا - أنا و «هربرت» - فى غاية الاضطراب
. . وكنا نشعر بأننا موضوعان تحت المراقبة بالزغم
من أننا لم نر أحدا يراقبنا أو يتتبع خطانا . .

ويوم الأربعاء الموعد . . كان أحد أيام شهر
مارس التى يختلط فيها حر الصيف ببرد الشتاء . .
ولذلك فقد ارتدينا ملابس ثقيلة ، وأخذت معى حقيبة
متوسطة الحجم بها بعض أدوات الزينة وبعض غيارات
الملابس .

وفى تلك اللحظات لم أكن أدري ما هذا الذى
أفعله .. ولا الى أين أنا ذاهب .. كنت لا أفكر
فى أى شىء سوى توفير الأمان « لماجويتش » .. وقبل
أن أغادر شقتى ، ألقىت نظرة أخيرة على الحجرات ..
فمن يدري .. ربما لن أرى هذه الحجرات بعد ذلك
أبدا .. !؟

وكان « ستارتوب » ينتظرنا بالقارب .. وبدأنا
الابحار فى الساعة الثامنة والنصف صباحا .. وماهى
الا لحظات حتى أصبحتنا جزءا من الحركة النشيطة التى
تدب على سطح النهر .. حيث توجد الكثير من
الصنادل التى تحمل شحنات الفحم .. والعديد من
البواخر القادمة والمغادرة .. وقوارب صيد الأسماك
.. وقوارب أخرى مماثلة لقاربنا مملوءة بعديد من
الناس الذين يقصدون النزهة أو يرغبون فى ممارسة
رياضة التجديف .

وكان علينا أن نجدف مع تيار المد حتى الساعة
الثالثة عصرا .. ثم نستمر بعد ذلك فى التجديف
ضد التيار حتى موعد حلول الظلام وعندئذ نكون قد



بیب یجہز حقیبتہ

وصلنا منطقة تقع بين مقاطعة « كنت » ومقاطعة
« اسكس » حيث يتسع مجرى النهر وتقل فيه الحركة
.. ثم نقضى الليل فى احدى الحانات النائبة حتى
صباح اليوم التالى .. فنعود الى القارب مرة أخرى
لننتظر الباخرة المتوجهة الى « هامبورج » التى اتفقنا
معه .. والتى كان من المفروض أن تغادر لندن فى
الساعة التاسعة تماما من صباح يوم الخميس .
وعندما كنا نجدف فى طريقنا الى بيت « كلارا »
.. رأينا « ماجويتش » وهو يهبط درجات السلم
الحجرى متجها نحونا .. كان يرتدى عباءة واسعة ،
ويحمل حقيبة سوداء من التيل .. وكان منظره
يوحى بأنه أخذ البحارة الذين يعملون بالسفن النهرية
.. وأمسك « هربرت » بيده ليساعده فى النزول
الى قاربنا .

وفى الحال ، وضع « ماجويتش » ذراعه حول
كتفى وقال : يا بنى العزيز المخلص .. لقد تم كل
شئ على نحو حسن .. شكرا لك .. شكرا لك .. !
فضغطت على يده .. وتلفت بعصبية لأنظر هنا



ماجویتش یتھیا لړکوب القارب

وهناك حتى أتأكد من عدم وجود أى أحد كان يراقبه
أو يتتبع خطاه .. وبدأ كل شيء طبيعيا .. وعلى هذا
واصلنا التجديف .. وأشعل « ماجويتش » غليونيه
.. وكان أقلنا اضطرابا وأهدأنا أعصابا .

وعندما أرخى الظلام سدوله .. رسونا بقاربنا
قرب حانة فقيرة منعزلة تطل على الشاطئ .. وكان
صاحب الحانة وزوجته يبدوان كما لو كانا من
المشردين .. ومع ذلك فقد قدما إلينا عشاء طيبا
تناولناه على مائدة قرب المدفأة .

وكان كل من « هربرت » و « ستارتوب » الذى
عرف الآن كل أسرار خطة الهرب ، فى غاية التعب
والارهاق لقيامهما بالتجديف طول النهار .. ولذلك
فسرعان ما غط كل منهما فى نوم ثقيل .

أما أنا فقد نمت فى نفس الغرفة التى نام فيها
« ماجويتش » .. كنت حريصا على ألا يغيب عن
نظري .. ونمت نوما متقطعا رغم احساسى بالتعب
والارهاق .. واستيقظت فزعا عدة مرات أثناء الليل
.. وكان يخيل الى أنى كنت أسمع أصوات رجال



تناول العشاء بالهانة المنعزلة

يتكلمون .. وفى آخر مرة .. سمعت بالفعل صوت
رجلين يتحدثان عند النهر ، ففتحت النافذة بحذر
وطلمت .. فرأيت رجلين يقومان بتفتيش قاربنا
المربوط بالشاطئ .. وعندما لم يسفر التفتيش عن
شئ ، انصرف الرجلان دون أن يلقيا أية نظرة على
الحانة .. وخمنت أن الرجلين من مفتشى الجمارك .

وفى صباح اليوم التالى نهضنا مبكرين ، وعدنا
الى القارب .. وجدفنا حتى وصلنا الى منطقة مستترة
بجانب الشاطئ .. وهناك توقفنا لانتظار الباخرة
المتوجهة الى « هامبورج » .. وفى الساعة الواحدة
والنصف بعد الظهر ، ظهر لنا دخان الباخرة وهى
قادمة نحونا .

وفى الحال ، بدأنا - أنا و « ماجويتش » - نستعد
.. وحمل كل منا حقيبته .. وسلمت على « ستارتوب »
وعلى « هربرت » .. حيث لاحظت أن عينيه مثل
عينى مغرورقتان بالدموع .

وبدأنا نجدف حتى نصل قرب الخط الذى تسير



وظهر دخان الباخرة

فيه الباخرة ٠٠ وفي نفس الوقت بالضبط بدأ قارب آخر يتجه الى نفس الاتجاه حتى اقترب تماما من قاربنا ٠٠ وعلى هذا القارب رأينا رجالا يجذفون ، ورجلا يمسك بالدفة ، ورجلا آخر يجلس بجواره يلتحف بعباءة واسعة ويصدر أوامره وتوجيهاته للرجل الذي يمسك بالدفة .

ونادى علينا الرجل الذي يمسك بالدفة : معكم سجين مطرود من انجلترا ولا يجوز له العودة اليها ٠٠ وأنا آمر « آبيل ماجويتش » بأن يسلم نفسه بلا مقاومة ٠٠ وعليكم أن تساعدونا في اعتقاله والقبض عليه ٠٠ !!

وهنا كان القارب الآخر قد سد الطريق تماما أمام قاربنا ومنعه من الحركة ٠٠ ثم امتدت الأيدي وأمسكت بقاربنا وسيطرت عليه تماما ٠٠ وقد تسبب هذا الموقف في حدوث ارتباك على ظهر الباخرة حيث سمعنا أصواتا تدعونا ٠٠ وأصواتا أخرى تأمر بإيقاف ماكينات الباخرة ٠٠ وقد توقفت الماكينات بالفعل ولكن الباخرة مع ذلك ظلت تتقدم نحونا .



ماجويٲش يقفز علي كوميبيسون

وفى هذه اللحظة انجنى الرجل الذى كان يوجه
الدفة نحو قاربنا ، ومد يده وأمسك « ماجويتش »
من كتفه . . ولكن « ماجويتش » انحنى بدوره ومد
يده ونزع العباءة عن الرجل الذى كان يصدر الأوامر
والتوجيهات . . كان هو نفس السجين الهارب الثانى
الذى قابلته فى طفولتى فى مستنقعات « كنت » . .
كان « كومبايسون » بعينه . . !

وتبدى الفزع الشديد على وجه « كومبايسون »
الذى تراجع الى الخلف من شدة الخوف . . ولكن
« ماجويتش » قفز من قاربنا الى القارب الآخر لكى
ينقض على « كومبايسون » . . ولكن هذه الحركة
العنيفة المباغتة أدت الى اهتزاز القاربين بشدة ، وفى
لحظة ، انقلب قاربنا بهن فيه . . !

وانتشلونى من الماء ورفعونى الى القارب الآخر
. . ثم انتشلوا « هربرت » ثم « ستارتوب » . .
ونظرت ملهوفاً لأطمئن على « ماجويتش » فرأيتة يسبح
بضعف شديد ويقاوم الغرق . . فرفعه الرجال الى
قاربهم . . وقاموا بتكثيف يديه وقدميه . .
وهكذا باءت خطة الهروب بفشل ذريع . . !



جرح ماجویش جروحا خطيرة

الفصل السابع عشر

يا بني العزيز ٠٠!

كان « ماجوتيش » يتنفس بصعوبة بسبب جرح
خطير في صدره وجرح آخر برأسه ٠٠ وقد أصيب بهما
بعد أن صدمته الباخرة التي كنا ننوي الهرب على
ظهرها الى « هامبورج » ٠٠

واحتضنته بين ذراعي ٠٠ وبأنفاس لاهثة
متقطعة ٠٠ أخذ يحكى لنا كيف هجم على « كومبايسون »
والقاء في الماء ٠٠ وكيف تصارع الرجلان الى أن
انتشلوه وحده دون أن يعرف ماذا حدث « لكومبايسون »
وظللنا ندور بالقرب في آخر منطقة شوهده فيها



جميع ممتلكاته ستصادر طبقا للقانون

« كومبايسون » حيا .. ولكن بلا جدوى .. فقد
اختفى .. وظهرت جثته على الشاطئ فيما بعد ..
وفى اثناء عودتنا بهذا القارب الى لندن ..
عرجنا الى احدى الحانات المطلة على النهر لاستراحة
قصيرة .. وطلبت من الضابط - وهو نفس الرجل الذى
كان يدير دفة القارب وأصدر الينا أمرا بالتوقف -
بأن اشترى بعض الملابس « لماجويتش » بدلا من ملابسه
المبتلة .. فوافق الضابط بعد أن أفهمنى أن جميع
متعلقات السجن بما فيها نقوده وملابسه المبتلة ، لابد
أن تسلم الى السلطات فى لندن ..

ونظرا لعلمى بأن مثل هذا القرار سيحطم قلب
« ماجويتش » لذلك فقد قررت ألا أبلغه به .. وجلست
بجواره صامتا .. وأمسكت بيده لعل بذلك أشجعه
على تحمل الألم .. ولكنه ابتسم بحنان وقال : يابنى
العزیز .. كنت أعرف تماما أن عودتى الى انجلترا
تعتبر مغامرة غير مأمونة العواقب .. ولكنى كنت
أريد أن أراك .. وقد رأيتك وسعدت بك .. ولهذا
فانى راضى .. ومقتنع بأنك أصبحت قادرا على أن



جارجز ينافع عن ماجويتش

نعيش «كجنتلمان» بدونى .. ولكن لا يجوز «لجنتلمان»
مثلك أن تكون له علاقة بأمثالى .. ولكنى أرجوك أن
نحضر الى قاعة المحكمة ، وتجلس فى مكان أستطيع أن
راك فيه .. أنا لا أريد أكثر من ذلك .. !

بكيت من شدة التأثير وقلت **باصرار** : لا يا
« ماجويتش » .. لن أتخلى عنك ماداموا يسمحون لى
بالتردد عليك لزيارتك .. سأبقى دائما الى جانبك ..
وسأكون مخلصا لك كما كنت دائما مخلصا لى .. !

وشعرت بأن يده كانت ترتجف عندما كان يسمع
كلامى هذا .. وابتسم فى رضا .. ثم نام ..

ولم تستغرق المحاكمة فترة طويلة ، فقد كانت
نقضية واضحة .. وتولى « مستر جاجرز » الدفاع
عنه ، رغم أنه أبلغنى بأن الأمر ميثوس منه ولا أمل
فيه .. وقدم « مستر جاجرز » الى المحكمة شهادة تؤكد
أن « ماجويتش » قد تاب عن الاجرام منذ أن غادر
انجلترا .. وأنه قد أصبح بالفعل شخصا ناجحا
محترما فى « نيو ساوث ويلز » .. ولكن ما فائدة كل

ذلك أمام الحقيقة الدامغة ... وهى أن على «ماجويتش» أن يواجه عقوبة الاعدام شنقا اذا عاد الى انجلترا ؟! ولأن الجروح التى لحقت « بـماجويتش » كانت بالغة وخطيرة ... خصوصا بعد تلوثها بماء النهر ، فقد ساءت صحته وتدهورت قواه ... ومع ذلك فلم يكتسب عطف المحلفين الذين لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا أمام صراحة القانون ... لذلك فقد قرروا انه مذنب . !

ولم يكن أمام القاضى سوى أن يصدر الحكم بالاعدام ... ولم يكن أمام « ماجويتش » سوى أن يقول للقاضى : سيدى ... ان الأعمار بيد الله ... وليس أمامى سوى أن أخضع لحكمك ... !

وأخذت أصلى وأتمنى من صميم قلبى أن يموت « ماجويتش » قبل أن ينفذوا فيه حكم الاعدام ... كما أخذت أكتب الالتماسات لكل شخص فى السلطة يمكنه أن يقدر الموقف ... وكنت أعزز هذه الالتماسات بزيارات شخصية لهؤلاء المسئولين أستعطفهم فيها أن يعيدوا النظر فى تنفيذ هذا الحكم ... وأحكى لهم

قصة شهامة هذا الرجل ومدى حرصه على توبته
وصلاحه ..

ونتيجة لبعض الاتصالات ، فقد سمع لى بزيارة
« ماجويتش » كل يوم فى مستشفى السجن .. كان
راقدا على سريره بلا حراك .. يتنفس بصعوبة وغير
قادر على الكلام .. ولكنه كان يعبر لى عن فرحته
بزيارتي له بمجرد ضغطة خفيفة ضعيفة من يده على
يدى .. وكانت حالته تتدهور يوما وراء يوم ..

وفى زيارتي العاشرة له .. لاحظت بعض التغير .
فقد برقت عيناه بمجرد أن رآنى .. وقال هامسا
بصوت خفيض مرتعش : يابنى العزيز .. انك دائما
أول زائر يدخل مستشفى السجن .. قبل كل
الزوار الآخرين ..

فقلت له لأطمئنه وأرفع معنوياته : اننى أنتظر
امام البوابة .. لأكون أول من يدخل عندما يسمح
بالدخول .. لا أريد أن أضيع ولو دقيقة واحدة من
الوقت المسموح به ..



بيب يكتب عرائض طلب الرحمة

فقال هامسا فى ارتياح : شكرا لك يابنى
العزیز . . بارك الله فيك . . انك لم تتخل عني أبدا . .

فضغطت على يده ولزمت الصمت ، اذ لا يمكن
أن أخبره بأننى كنت قد دبرت خطة الهروب لكى أتخلي
عنه بعد أن أوصله الى مكان آمن . .

وواصل همسه : من أعظم المواقف التى أقدرها
لك . . انك أصبحت أكثر قربا منى بعد أن اكتنفت
حياتى تلك السحابة المظلمة . . مع انك لم تكن قريبا
منى الى هذا الحد حينما كانت تسطع الشمس . . ان
هذا عندى يساوى كل شيء . .

وهنا بدأ صوته يضعف . . وحارت قواه تماما . .
وعلت الغشاوة والشحوب وجهه وعينيه . . وسحب
يدى بضعف شديد ووضعهما على صدره تحت يديه . .
وارتسمت على شفتيه ابتسامة خافتة . .

ودق جرس السجن معلنا انتهاء الوقت المحدد
للزيارة ، فى نفس الوقت الذى دخل فيه طبيب
السجن الى الحجرة . . فhez رأس « ماجويتش » ونظر



ماجويٽش يحنضر ..

الى فى حزن .. ووضع يده على كتفى كاشارة منه لكى
أبقى فى مقعدى ولا أنصرف .. وفهمت من ذلك أن
« ماجويتش » يحتضر ويعيش لحظاته الأخيرة ..
وعندئذ انحنيت عليه .. وقلت هامسا وأنا أغالب
دموعى : يا عزيزى « ماجويتش » .. أريد أن أخبرك
بسر عظيم قبل أن تغادر هذه الدنيا .. هل تستطيع
أن تفهمنى ؟ !

فضغط على يدى بضعف ليؤكد لى أنه يستطيع
أن يفهم فقلت : هل تذكر ابنتك التى كنت تعتقد انها
قتلت .. ؟ !

فضغط على يدى مرة أخرى .. فواصلت
الحديث : انها لم تقتل يا « ماجويتش » كما كنت
تعتقد .. انها تعيش الآن كسيدة محترمة فى هذا
المجتمع .. انها جميلة جدا بل وأكثر النساء جمالا ..
وأنا أحبها .. من كل قلبى .. !

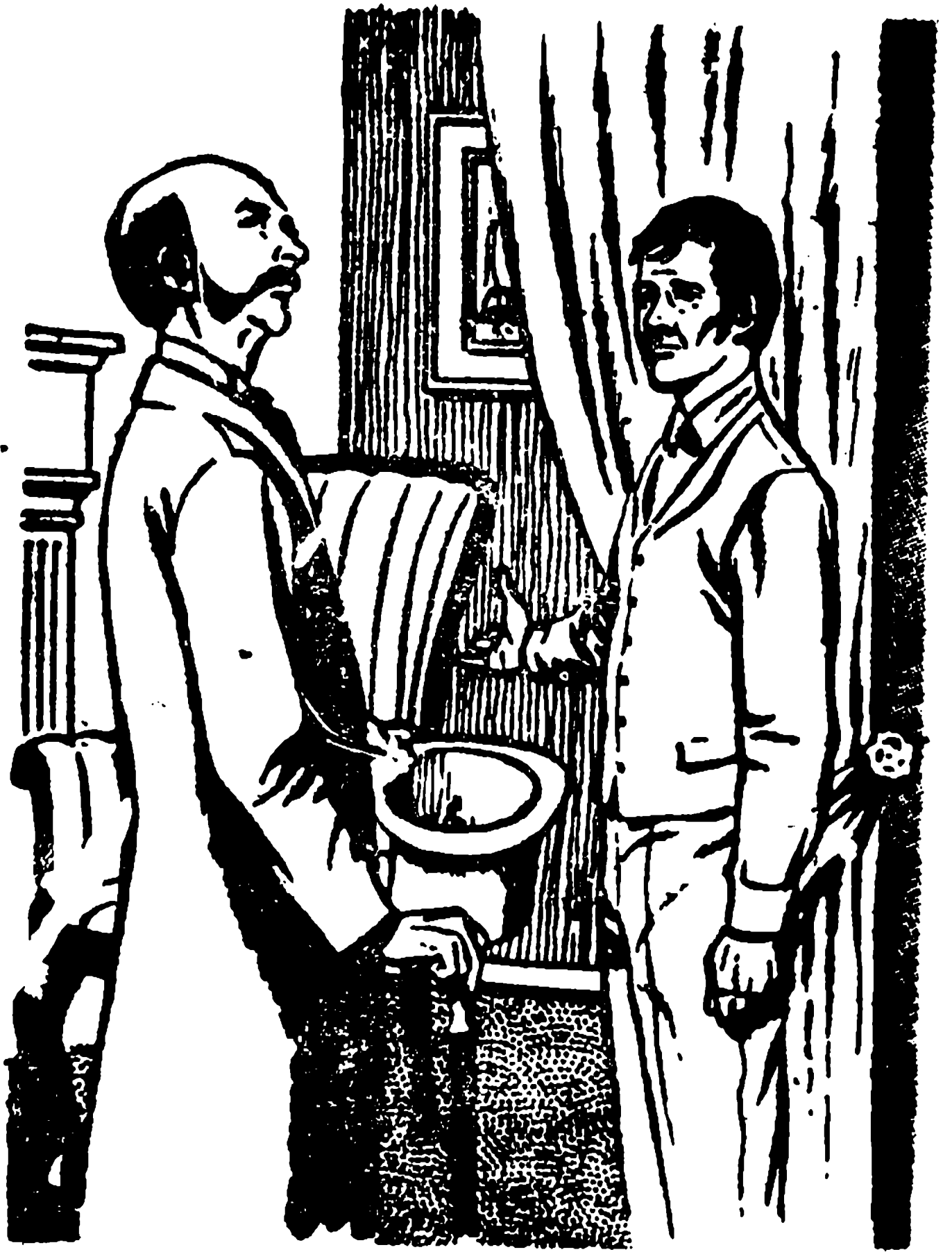
وكانت آخر حركة قام بها « ماجويتش » فى
هذا العالم .. أن سحب يدى بمنتهى الضعف ..



آخر اعمال ماجوئتش .. قبله

وقربها من شفثيه .. وقبلها .. ثم أعادها الى مكانها
فوق صدره .. وازدادت الغشاوة على عينيه ..
ومالت رأسه .. ومات « ماجويتش » ! ..

لم أخش مشاهدة الموت عن قرب الى هذا
الحد .. بل لعل شعرت بالارتياح والهدوء والسلام .
ولاحت فى ذهنى فكرة الندم على أنى لم أكن مخلصا
لإصداقة الحقيقية التى يكنها لى « جو جاجرى » ..
فلا أقل من أن أكون مخلصا لذكرى « ماجويتش » ..
ولن أنسى الى الأبد مشاعر الحب الصادق وهو يقول
لى : يابنى العزيز .. !!



بيب يعرض مسكنه للايجار

الفصل الثامن عشر

تغيرات كثيرة ..

أفقت الى نفسى أخيرا وأخذت أفكر فى أحوالى
المالية السيئة ، والتي ازدادت سوءا أكثر من أى وقت
مضى .. فأنا غارق فى ديون باهظة .. وكان على أن
أؤجر شقتى من الباطن لأنها أصبحت غالية التكاليف
بالنسبة لى ، خصوصا بعد أن سافر « هربرت » الى
القاهرة فى مصر .. ليدير فرع شركة « كلاريكار »
هناك .. وقد وعدنى « هربرت » قبل سفره بأنه على
استعداد أن يمنحنى وظيفة فى هذا الفرع فى أى وقت
أريد ..



وتجول في الشوارع يائسا

وعلى أية حال فلم استطع اتخاذ أى قرار بشأن
مستقبلى لأنى سقطت مريضا .. كنت أحس ببوار
المرض وهى تتسلل الى ببطء ، الى أن مات «ماجويتش»
.. فعندئذ بدأ المرض يشتد وبدأت صحتى فى
الانهيار السريع .. وأصبت بحمى شديدة جعلتنى
أرقد على السرير مرتعشا غير قادر على الحركة ..
وبين حين وآخر ، كانت تنتابنى نوبات من
الذهيان فأهبط من مرقدى .. وأغادر البيت متجولا
فى الشوارع بلا هدف ولا وعى .. وفى يوم ما ،
تنبعت الى وجود شخصين بالقرب منى .. ينظران الى
بحزن وأنا راقد على رصيف الشارع بجوار منزلى ..
فقلت لهما بصوت مبجوح : من أنتما .. وماذا
تريدان .. ؟!

فقال أحدهم : لقد جئنا يا سيدى للقبض عليك
بسبب عجزك عن الوفاء بالديون .. !
فصدرت منى آهة مؤلمة .. وحاولت القيام
ولكنى تهاويت .. **وقلت لهما يائسا : كان بودى أن**
أذهب معكما .. ولكنى مريض ولا أستطيع ..



جو یعتنی بیب

ابتعد الرجلان عنى قليلا ٠٠ ثم أخذا يتجادلان
معا ٠٠ ثم انصرفا ٠٠ وتحاملت على نفسى وعدت الى
البيت ٠٠ ورقدت على السرير مستسلما للحمى.
وأضغاث الكوابيس ٠٠ ومن شدة حالات الهذيان
التي كانت تتابنى ٠٠ كنت اتخيل جميع الناس
الذين عرفتهم وقابلتهم فى حياتى وكأنهم جالسون
جوار سريرى ٠٠ واحدا تلو الآخر ٠٠ وعندما كانت
تختفى جميع الوجوه ٠٠ لا يبقى الا وجه واحد دائما
٠٠ وجه « جو » ٠٠

كنت أتخيل انه جالس بجانبى ٠٠ ويبتسم
ليشجعنى ٠٠ ويمسح وجهى بقطعة من الاسفنج مبللة
بماء بارد ليخفف الحرارة عن رأسى ٠٠ وافقت فى
احظة ، فرأيت أمامى نفس الوجه ٠٠ **فقلت بضعف :**
هل أنت هنا يا « جو » ٠٠ ؟!

فابتسم بفرح وقال : نعم يا « بيب » ٠٠
يا صديقى العجوز ٠٠ !

فانخرطت على الفور فى البكاء ٠٠ ليس هذيانا
هذه المرة ، وانما هو بكاء صادق يعبر عن احساسى

بالندم وقلت في لوعة : « جو » .. يا صديقي
العظيم .. أنا لا أستحق كل هذا العطف منك ..
لقد أغضبتك .. وخنث صداقتنا .. اضربني
يا « جو » .. لأنى أستحق الضرب .. ولا تعطف على
كل هذا العطف .. !

ولكن « جو » كان في غاية السعادة لأنى أفقت
وبدأت استعيد وعيى واستطعت التعرف عليه ..
فركم الى جوار سريرى وقال وعيناه مغروقتان
بالدموع : أنا وأنت كنا ومازلنا أصدقاء .. يا عزيزى
« بيب » .. اهدأ يا عزيزى حتى تستعيد صحتك ! ..
وأخذ « جو » يرعانى ويمرضنى لمدة شهر كامل
الى أن بدأت استعيد قواى بالتدريج .. وكنت
أتخيل أيام الطفولة فى مستنقعات « كنت » وقد عادت
من جديد .. حين كان « حو » يقوم باطعامى ويرعى
شئونى ..

وفى احدى الأمسيات .. حين لاحظ « جو »
أنى أصبحت فى طريقى الى شفاء قريب .. أخبرنى
بأن الأنسة « هافيشام » قد ماتت متأثرة بحروقها ..

وكما هو متوقع فقد ورثت « ستلا » كل أموالها
وممتلكاتها ..

وأخبرت « جو » بالتالى بما جرى فى قصة حياتى
.. وانهى آمالى الكبرى .. واكتشافى أن المحسن
الذى تبرع لى بكل أمواله لم يكن الأنسة « هافيشام »
.. وانما هو « آبيل ماجويتش » ..

وهنا قاطعنى « جو » قائلا : لقد سمعت بعض
الاخبار عن ذلك .. وهذا لا يهمنى بالمره .. مثل
هذه الأشياء لا أهمية لها بين الأصدقاء الحقيقيين ..

وعلى الفور نهض « جو » ليعد لنا طعام العشاء
.. وليضع حدا لهذا الموضوع ..

وبعد أن اكتمل شفائى .. استيقظت ذات صباح
فلم أجد « جو » .. لقد رحل فى الصباح الباكر ..
وترك رسالة مليئة بالأخطاء الاملائية كتبها بنفسه
بعد أن علمته « بيدى » القراءة والكتابة ..

كانت رسالة وداع رقيقة .. ومرفق بها إيصال



لقد دفعت الديون ..

بدفع الدين الذى قبض على بسبب عدم الوفاء به فى موعده .. ويدل الايصال على أن « جو » هو الذى قام بتسديد هذا الدين .. والحقيقة انى كنت أظن - بسبب شدة مرضى وغيابى عن الوعي - أن الدائن صاحب الحق فى هذا الدين قد توقف عن اتخاذ الاجراءات القضائية بسبب سوء صحتى .. ولم أكن اتصور أبدا أن « جو » قد دفع هذا الدين من ماله الخاص ..

ارتخيت على المقعد وأنا أمسك بالايصال وبرسالة الوداع .. ودارت فى ذهنى ذكريات الماضى البعيد .. السعيد .. والهواء النظيف النقى الذى يهب من ناحية النهر والمستنقعات .. ووجه « بيدى » الجميل الصبوح .. « بيدى » التى صادقتها ووثقت فيها منذ أن حلت ببيتنا بعد حادث الهجوم على أختى .. وتذكرت كم كنت غبيا وأنا نيا حين تناسيت كل تلك الأيام الجميلة الحلوة ..

وبينما كنت غارقا فى فيض الذكريات هكذا .. لاحت فى ذهنى فكرة هائلة .. لماذا لا أبدا حواء



بيب يقرر الزواج من بیدی

جديدة .. ولماذا لا اتزوج من « بيدي » .. فلا تقدم
اليها لأطلب يدها وأعبر لها عن ندمي .. ولأخبرها
بصدق أني قد جئت طائعا .. وأنى على استعداد
لقبول أى شئ تراه بالنسبة لمستقبلي .. فلو أرادت
أن أعمل مع « جو » فى ورشة الحدادة فلن أمانع ..
وإذا رأت أن أحصل على وظيفة بالقرية أو فى الريف
فسوف أوافق .. وسأخبرها بالعرض الذى قدمه الى
« هربرت » قبل أن يسافر .. فاذا قبلت أن تصحبني
لتعيش معي فى مصر ، فان ذلك سيكون قمة
سعادتي ..

وما أن انقضت ثلاثة أيام ، حتى أخذت عربة
السفر متجها الى « كنت » ..

كنا فى شهر يونيو .. وكان الجو صحوا
والسماء زرقاء خالية من السحب .. وتطير العصافير
بفرح فوق سنابل القمح الخضراء ..

وعندما اقتربت من البيت .. لم اسمع دقات
مطرقة « جو » المعهودة .. وعندما اقتربت من الورشة



بيلى وجو فى يوم زفافهما

فوجئت بانها مغلقة .. فانتابنى احساس عارم من
الخوف ..

أما البيت فلم يكن يبدو مهجورا .. بل رأيت
ستائر نظيفة بيضاء تتطاير من خلال النافذة المفتوحة
بغرفة الجلوس .. وعندما نظرت الى الداخل من خلال
تلك النافذة .. رأيت « بيدى » و « جو » وهما
يلوحان لى مرحبين بحضورى .. وأقبلا على يعانقاني
بسعادة غامرة : « وقالت « بيدى » : هانتذا أخيرا
يا « بيب » .. يا أعز صديق .. ليتك قد جئت يوم
زفانى .. كانت حفلة طيبة .. لقد تزوجنا ..
أنا و « جو » .. !!

وهنأتها بحرارة وأنا أخفى خيبة أملى ..
وقضيت معهما عدة ساعات قبل أن أرحل عائدا الى
لندن ..

وبعت كل ممتلكاتى ، وسويت معظم ديونى ..
وسافرت الى مصر .. وعملت موظفا بفرع شركة
« كلاريكار » معاونا « لهربرت » .. وكان « هربرت »



بيب يعيش مع عائلة بوكيت في مصر .

قد نزوج « كلارا » فعشت معها فى نفس البيت ..

وبالتدريج ، حققت الكثير من النجاح والتقدم ،
فسددت كل ديونى .. وأصبحت أعيش حياة بهيجة
طيبة معتمدا على نفسى .. وكنت أكتب الرسائل الى
« جو » و « بيدى » بين حين وآخر ..

وبعد عدة سنوات ، أصبحت شريكا كاملا فى
شركة « كلاريكار » ..

ولا يمكننى أن أقول ان شركتنا كانت تعتبر من
الشركات الكبرى .. ولكننا حققنا أرباحا كثيرة ،
وكانت لنا سمعة طيبة ..

وفى يوم ما ، لم يستطع « كلاريكار » أن
يستمر فى الاحتفاظ بالسرا الذى بيننا .. فاعترف
« لهربرت » بأنى أنا الذى دفعت حصة اشتراكه فى
رأس مال الشركة .. وأنى أنا الذى أوصيت عليه
ووظفته منذ البداية ..

ومن أجل هذا ازداد حب « لهربرت » لى ،
وازداد تقديره لصنيعى الجميل .



بيب الصّغير !

الفصل التاسع عشر

بعد احدى عشرة سنة ..

وبعد احدى عشرة سنة .. عدت الى انجلترا مرة
أخرى ..

وفي أحد أيام ديسمبر .. بعد حلول الظلام
بنحو ساعة .. كنت أدخل من خلال باب المطبخ في
البيت القديم بمستنقعات « كنت » ..

كان « جو » جالسا على مقعده جوار المدفأة ،
يدخن غليونه في هدوء .. وعلى نفس الكرسي الذي
كنت أجلس عليه في طفولتي كان يجلس « بيب »
الصغير .. !



بيب الصغير يشاهد مقابر الأسرة

قفز « جو » من مقعده واندفع نحوى يحتضننى
ويقبلنى .. وجاءت « بيدى » فى عجل وأخذت تقبلنى
وتبكي من شدة الفرح بعودتى .. أما « بيب » الصغير
فقد تراجع وهو يشعر بشيء من الخوف والدهشة ..
ولكن لم تمض سوى أيام قليلة حتى أصبحت
أنا و « بيب » الصغير أصدقاء أعزاء .. وكنت أصحبه
للنزهة حول المستنقعات .. كما زرت معه مقابر
الأسرة .. وتذكرت مشاعرى الخاصة عندما كنت فى
مثل سنه .. أزور هذا المكان فى الماضى ..
وعندما حل موعد رحيلى الى لندن .. لاحظت أن
« بيب » الصغير أصبح يحببنى ويتمسك بى .. تماما
مثلما كنت أحيى وأتمسك بأبيه « جو » فى الماضى ..
وظل « بيب » الصغير يلوح لى مودعا الى أن غبت عن
نظره ..

ولكن قبل أن أغادر « كنت » عن لى أن أزور
موقع بيت الأنسة « هافيشام » .. كان مجرد أطلال
محتركة .. ولم يبق من البيت شيء سوى الحديقة



مقابلة بالصدفة

انتهى ملاتها الأعشاب .. وبقايا البوابة الحديدية ..
وجلست على كتلة من الحجر .. واستسلمت
لذكريات الماضي البعيد .. ذكريات « ستلا » ..
كنت قد علمت بأنها عاشت حياة شقية غير سعيدة
مع زوجها « بنتلي درامل » .. لدرجة انها هجرته
وكانت تعيش منفصلة عنه .. كما علمت أنه قد لقي
مصرعة في حادثة .. ولكن ذلك كان منذ عامين ..
ولعل « ستلا » قد تزوجت الآن مرة ثانية ..

وظلت الذكريات تطوف بذهنى وأنا اتجول بين
أعشاب الحديقة وبين الأطلال المهجورة التى تهب عليها
لفحات من برد الشتاء ..

وإذا لمحت طيف امرأة كانت تقف وحيدة
متأملة فى ضوء القمر .. فاقتربت منها لأعرف من
هى .. وعندما سمعت وقع خطواتى التفتت نحوى ..
ويا لهول المفاجأة .. !

صحت وأنا اندفع نحوها : « ستلا ، .. ! »

فقالت بنعومة : « بيب ، ! » هل عرفتني ؟ !



وادرنا ظهرونا لذكرى الآنسة هافيشام

لقد ذوى يق شبابها .. ولسكنها ما زالت
محتفظة ببهاء وعظمة جمالها .. واختفت نظرة التعالى
من عينيها وحلت محلها نظرات هادئة حزينة .. !
وسألتها : هل تحضرين الى هنا دائما
يا « ستلا » .. ؟

فقالت : لا .. انى أحضر الى هذا المكان لأول
مرة بعد حياة طويلة .. ان هذا المكان هو آخر
ممتلكاتى .. وقد بعته .. وجئت لألقى عليه نظرة
الوداع الأخيرة .. ولكن قل لى .. هل مازلت تعيش
فى الخارج يا « بيب » .. ؟

وأخبرتها بالنجاح الذى حققته .. وبأنى أصبحت
شريكا كاملا فى شركة « كلاريكار » .. فبدت سعيدة
لذلك .. **وقالت وهى تبتسم فى رقة : كنت أفكر**
فيك أحيانا .. وجاء وقت كنت ألوم فيه نفسى لأنى
تجاهلت حبك الصادق .. أيام غرورى وجهلى ..
ولكنى الآن احتفظ لك بمكان عزيز فى قلبى ..
فأمسكت بيدها وقلت : ولكنك كنت دائما فى
أعز مكان بقلبى .. !